مكتبة جورج انطون كيراز

اسم الكتاب ثيودورة ، قصة البطولة والجهاد والتضحية والايمان

اسم المترجم

(بقلم) غريغوريوس بولس بهنام

سنة الطبع ١٩٥٦

رقم الكتاب 642

ملاحظات تتناول احداث الكنيسة السريانية في النصف الاول من القرن السادس

ܡܫܡܫܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܐ. ܟܝܪܐܙ
الشماس جورج انطون كيراز
DEACON GEORGE ANTON KIRAZ

ܬܐܘܕܘܪܐ

ثيودورة

ر. اصليبا

قصة البطولة والجهاد والتضحية والايمان

تتناول احداث الكنيسة السريانية في النصف
الاول من القرن السادس

بقلم

غريغوريوس بولس بهنام

مطران الموصل وتوابعها للسريان الارثوذكس

سنة ١٩٥٦م

ܒܝܬ ܐܪܟܐ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

ܒܝܬ ܐܪܟܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

Biographies: By ABC

Beth Mardutho Library

ܡܚܒܒܝ ܚܠܝ ܚܒܪ̈ܐ ܡܫܡܫܢܘܬܐ

ܗܐ ܗܫܐ ܐܢܬܘܢ ܡܛܠ ܚܘܒܐ ܘܫܘܬܦܘܬܐ ܕܐܚܘܬܟܘܢ
ܗܘܝܬܘܢ ܡܫܬܡܠܝܢ. ܘܦܪܘܫܘܬܐ ܚܫܝܫܐܝܬ ܒܠܒܘܬܟܘܢ ܚܒܝܒܬܐ
ܗܝ ܕܠܟܠܢ ܚܫܝܫܐ ܠܗܘܐ ܘܡܫܒܚܐ. ܒܝܕ ܗܕܐ ܠܡܫܒܚܘܬܐ
ܘܡܝܬܪܘܬܐ ܕܥܠܡܐ ܡܫܡܫܢܘܬܐ ܠܐܘܪܚܐ. ܐܝܟ ܫܘܡܠܝܐ ܡܬܒܪܘܬܐ
ܫܡܝܢ ܘܐܪܥܢ. ܘܕܚܠܬܗ ܕܡܪܢ ܡܕܡ ܫܡܫܘܡܫܘ ܦܩܝܕܘܬܐ
ܘܐܝܟܘܬܐ ܚܒܝܒܐ ܘܠܘܬܐ ܕܫܘܡܫܐ ܐܝܟ ܫܦܝܪܐ ܒܐܘܪܚܐ
ܒܝܘܡܝ ܘܠܝܠܘܬܐ.

ܡܫܠܡܐ ܡܚܒܒܝ ܒܚܘܒܐ ܗܠܝܢ ܒܪ̈ܝܐ ܐܚܘܗ. ܘܡܢ
ܐܘܪܚܐ ܚܫܝܫܐ ܗܘܐ ܘܡܫܡܫܢܐ ܐܝܟ ܡܠܐܟܐ ܠܟܢܫܘܫܝܐ
ܪܘܚܗ. ܘܡܢ ܚܕܐ ܠܟܠ ܕܪ̈ܐ ܗܠܝܢ ܐܢܫ̈ܝܐ ܦܐܪ̈ܐ ܡܠܝܐ
ܕܡܠܟܐ ܐܠܗܐ ܠܟܘܢ ܠܟܠܗ. ܘܠܟܢܫܘܢ ܐܝܟ ܕܫܠܝܚ̈ܐ ܘܫܡܫܐ
ܠܬܘܕܝܬܐ ܘܠܪܘܚܐ ܡܫܝܚܐ. ܘܠܡܫܡܫܢܘܬܐ ܕܝܠܗ ܡܫܡܫܢܘܬܐ
ܗܢܐ ܢܗܘܘܢ ܐܘܟܐ ܘܢܗܘܘܢ ܐܝܟ ܠܐܝܠܢܐ ܗܠܝܢ ܕܦܝܫܐ
ܢܦܩܘܢ ܡܢܗ.

ܡܫܡܫܢܐ ܠܚܡܝ ܚܒܝܒܝ ܚܠܝܐ ܐܝܟܗ.   ܚܢܢܝܐ

تيودورة

بريشة الاستاذ فرج عبوش

من هي تيودورة ؟..

زهرة مليئة بعبير الفضيلة والتقوى ، استلتها الحياة من روضة منبج ، وغرستها في بلاط بيزنطية ، لتنشر شذاها على العالم البيزنطي المليء بالمساوىء والشرور ، وتكتب بجهادها فصولاً ممتعة في تاريخ الحكمة والنبل والاخلاص والشجاعة وتذهب الى ربها طاهرة الذيل مرفوعة الجبين ، وبعد ذلك مايضيرها لو نقّت ضفدعة شريرة من أحد مستنقعات بيزنطية تكدر الجو النقي من حولها ، وتلقي السموم الفتاكة في ذلك الوسط الشذي ، الذي عطرته أكثر من ربع قرن فضائلها وصلاحها ، وتشوه وجه تاريخ ناصع البياض خطته أناملها الناعمة بمداد الخير والتقوى ؟ ؟

هذه هي تيودورة قيصرة بيزنطية الجبارة منذ سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٤٨م ، زوجة القيصر يوسطنيان ، ورافعة البيت البيزنطي المالك الى أعلى الذرى في سلم الرقي والكمال ، وهذه هي الصورة الحقيقية التي يرسمها التاريخ الصحيح لتيودورة بريشة العدل والحق .

ولكن ، الويل للتاريخ اذا تولت كتابته أيدي السوء ، فانها تشوه جماله ، وتقلب مفاهيمه الحقيقية رأساً على عقب ، وتدوس مثله العليا الى الحضيض ، وتحيل خيره شراً ونوره ظلاماً دامساً ، وهكذا كان في قصة تيودورة القيصرة الفاضلة ، فقد امتدت اليها يد السوء ، وسلبت منها جمالها الحقيقي ، وأعطتها قناعاً مشوهاً زرياً لم يكن موجوداً الا في مخيلة ذلك الكاتب الحقير (بروكوبيوس) الا ان التاريخ الصحيح ، وأيدي كتابه الأمناء ، تهتك شر ذلك القناع المشوه ، وتمزقه وتلقي به في وجه صاحبه ، فيظهر جمال القيصرة البارة الحقيقي ، مشعاً

بأنوار الفضيلة والحكمة وسائر المثل العليا .

وقبل أن نناقش هذا المؤرخ المغرض (بروكوبيوس) رأيه السخيف بشأن القيصرة تيودورة ، نلقي نظرات عابرة على تاريخ حياتها حسبما سجلته أيدي المؤرخين الأمناء الذين عاصروها وعرفوا أسرتها ومنبتها ، ولا سيما المؤرخ السرياني الثقة مار يوحنا الافسسي الذي كانت له صلات وثقى بأسرة القيصرة العظيمة ، وعرفها حق المعرفة منذ طفولتها حتى وفاتها ، وعاش في ظلها سنوات كثيره ، وكتب عنها وعن جهادها وأعمالها الصالحة ما شاهده بأم عينه ، الأمر الذي لا يمكن تكذيبه أو دحضه ، ونلخص ذلك في النقاط التالية :

١ — ولادتها وطفولتها وزواجها من القيصر يوسطنيان :

ولدت تيودورة في مدينة منبج الواقعة بين حلب والرها ، في مطلع القرن السادس ، ووالدها قسيس سرياني ارثوذكسي رباها تربية صالحة ، على المبادىء القويمة [١] ولا نعرف شيئاً هاماً عن طفولتها ودراستها ، الا اننا متأكدون انها نالت ثقافة واسعة ظهرت آثارها في حياتها العملية كقيصرة عظيمة ، واطلعت منذ صباها ، بفضل بيئتها الدينية ، على مبادىء الايمان ، فانطبعت في نفسها الفتية وكونت منها تلك الشخصية القوية التي هيمنت على امبراطورية عظيمة بأسرها فترة هامة من الزمن .

وصفها المؤرخ الرهاوي بقوله : « كانت تيودورة فتاة رائعة الجمال زينها الله بمحاسن الجسم والنفس [٢] » وبفضل ذلك ذهبت لها شهرة واسعة في مدينتها فنظر اليها مواطنوها نظرة احترام .

أما زواجها من القيصر يوسطنيان ، فقد حدثنا عنه المؤرخون السريان

(١) تاريخ الراهب القرتميني السرياني ص ١٩٢ طبعة لوفان سنة ١٩٥٣

(٢) تاريخ الرهاوي السرياني م ١ ص ١٩١ و ١٩٢

بوضوح وصراحة قالوا : — مرّ يوسطنيان بمنبج ، وهو في طريقه الى محاربة الفرس ، فبهرته أخبار جمال تيودورة وفضائلها وذكائها ، فقرر الزواج منها ، فطلب يدها من والدها بذاته ، فلم يوافق القسيس على هذا الزواج الا بعد أن عاهده الملك عهداً وثيقاً بأنه لن يجبرها على تغيير مبادئها الايمانية (١) . وهكذا تم هذا الزواج الملكي ، فعقد لتيودورة التاج وأصبحت قيصرة لبيزنطية الى جانب زوجها القيصر يوسطنيان ، فانتعشت بها قلوب السريان الارثودكسيين (٢) وذلك سنة ٥٢٧ م .

٢ — حياتها الادارية كقيصرة :

يظهر من مجرى حياة تيودورة الادارية ان الدستور البيزنطي كان يخول للقيصرة جميع الحقوق التي يتمتع بها القيصر نفسه ، ولذلك نجد يوسطنيان يمنح صلاحيات عظمى لزوجته القيصرة تيودورة ، ويسلطها في كل شيء ، فتصدر الأوامر مباشرة بحسب رغبتها في ادارة الامبراطورية ، ولها حق النظر في جميع الشؤون ويقول المؤرخون ، انها لم تكن موازية للقيصر وحسب ، بل كانت امبراطورة مطلقة .

ان فضلها على الامبراطورية كان عظيماً وواضحاً ولا سيما العاصمة ذاتها ، فقد أعانت القيصر في حكمه ، بل كانت ساعده الأيمن ، وأرشدته الى أهم الامور في كيفية الحكم والسياسة ، فتوطد سلطانه ، وهابه جميع المناوئين له فلم يخف عنه شيء من أمور المملكة حيث بثت القيصرة تيودورة العيون في جميع أطراف العاصمة بل الامبراطورية ذاتها .

وحدثنا المؤرخون ، ان الاحزاب السرية اليسارية ، أضمرت الشر للقيصر يوسطنيان وثاروا عليه عدة مرات ، وحركت ضد القيصرة مؤامرات كثيرة ، الا ان حكمة تيودورة كانت كفيلة باحباط جميع المؤامرات الشريرة ، واخماد

---

(١) تاريخ الدول السرياني لابن العبري ص ٧٨ (٢) تاريخ الرهاوي السرياني ص ٢٠٠

جميع الثورات في داخل العاصمة وخارجها، وقد ذكر المؤرخ نيكا (Nica) حوالي سنة ٥٣٢م ان الثائرين تألبوا وحاولوا مهاجمة البلاط واحتلاله فانبرت لهم تيودورة بشجاعة وبطولة، فأصدرت أوامرها الصادعة وبددت شملهم وعاقبتهم أشد اعقاب. وبذلك أنقذت تاج زوجها، وخلصت الامبراطورية من شرهم ودسائسهم، وذلك يبرهن انها أعانت القيصر وأنقذته في أحلك فترات ملكه.

ان حكمة هذه القيصرة وصلابتها، وشجاعتها، فرضت احترامها على جميع سكان المملكة في عصرها، فأقسم لها الموظفون الكبار والصغار في الامبراطورية يمين الاخلاص قسمهم للامبراطور نفسه، وكانت تكاتب سفراء الدولة، وترشدهم الى السلوك القويم حرصاً على الفائدة العامة، وكثيراً ما أرشدت بيساريوس سفير الامبراطورية في روما كيف يتعامل مع ذوي الشأن هناك ولا سيما البابوات.

كانت تيودورة القيصرة شديدة الحرص على الاخلاق العامة في العاصمة وخارجها، فحاربت الرذيلة وخضدت شوكتها، وأهلكت العائثين بالاخلاق وشجبت أعمالهم، وأبادت خمسمائة منهم كانوا يعيثون فساداً في قلب العاصمة، فأنقذت الجيل من شرورهم انقاذاً كاملاً.

أما حرصها على الحياة الاجتماعية فقد كان عظيماً جداً، وقد روى المؤرخون، انها كانت تعاقب بذاتها الزوجات الخائنات لازواجهن، كما كانت تصدر أوامرها الصارمة للناشزات والمستهترات بالعودة الى حياة الفضيلة والحدب على الاسرة، وتربية الاطفال تربية صالحة، وتعاقب أيضاً جميع الازواج الذين لا يحسنون التصرف مع زوجاتهم، فتصدر الاوامر الشديدة بعودتهم الى خدمة البيت والاولاد خدمة أبوية صالحة. وهكذا استطاعت هذه القيصرة الصالحة، أن تخلق في القسطنطينية خاصة، وفي أطراف الامبراطورية عامة، جيلاً

جديداً قوياً بروحيته وأخلاقه (١) .

٣ - ثباتها في الايمان وتأثيرها على زوجها القيصر :

أطرى المؤرخ « نيكا » شجاعتها وثباتها أمام التيارات السياسية القوية ، التي ثارت ضدها الى جانب روجها الامبراطور ورفعها غيره من المؤرخين الى مصاف عظام رجال التاريخ مؤيدين « انها كانت شخصية فائقة الحكمة ، ولدت لكي تلمع في جميع مجالات الحياة » ولم يستطع بروكوبيوس المؤرخ عدو تيودورة الألد انكار الأمجاد التي نثرتها هذه القيصرة بحكمتها وثباتها وشجاعتها في عهد زوجها القيصر يوسطنيان ، الامور التي تترجم عن قلب يفيض بالحكمة والقوة والايمان .

وكانت تيودورة الى جانب ذلك راسخة بايمانها لم تتزعزع ، وقد حفظت عهد أبيها ذلك العهد المقدس الذي عملت من أجل بقائه وانعاشه كل أيام حياتها الملكية ، وما عدا ذلك ، فان تعاليم أبيها الفاضل القسيس أثرت فيها تأثيراً عميقاً وجعلتها مثلاً أعلى للمجاهدين في هذا الميدان .

ان جميع الضيقات التي قاستها هذه الابنة البارة ، كانت من أجل ثباتها في ايمانها وجميع المؤامرات حيكت لاهلاكها لتمسكها بعقيدتها ، وكانت تعلي ذلك حق العلم ، ومع هذا كله لم تنثن عزيمتها الشماء عن المضي في طريقها الشائك غير وجلة ولا هيابة ، وأعمالها المبرورة تبرهن انها عاشت لاجل ايمانها الارثوذكسي وماتت في سبيله ، وهي لا زالت في ريعان القوة ، وذروة الحياة ، لم تبلغ غير نيف وأربعين سنة . ويقيني ان اتعابها الجمة وجهادها الشاق ، وآلامها الكثيرة ، كانت أسباباً هامة في التعجيل برحيلها عن هذه الحياة ، وهي في عنفوان العمر ،

---

(١) الانسكلوبيديا البريطانية ، المجلد ٢٦ ص ٧٦٤ ، الطبعة الحادية عشرة .

غير ان حياتها الجليلة ، وان كانت قصيرة الأمد ، فقد كانت عميقة الغور ، بعيدة الشواطىء ، واسعة الآفاق ، وذلك بالنسبة الى الاعمال الجبارة التي قامت بها ، فسجلت اسمها الكريم في سجل الملوك العظام الخالدين .

ان ثبات تيودورة في ايمانها وحفظها عهدها المقدس الذي قطعته لأبيها ، وجهادها الموفق في سبيل حفظه وانعاشه كانت مؤثرات فعالة في قلب زوجها القيصر ، فنظر اليها نظرة اعتبار وا كبار واجلال ، وساواها بنفسه ، بل فوقها على ذاته الملكية في كثير من الامور ، ولا غرو فقد كانت شعلة من الامانة والاخلاص لدينها ودنياها في جميع مجالات الحياة فكانت تعطي دائماً « ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » .

ان تعلقها بالله كان شديداً جداً ، برهنت عليه حياتها العملية ، واخلاصها لايمانها كان عميقاً سجلته ضيقاتها وآلامها في سبيل بقائه ، والسجن الملكي يبرهن على ذلك الحب الروحي العميق ، والاخلاص الثابت ، وقد اخبرنا عنها المؤرخون بفخر واعتزار ، وسجلوها لها بمداد الشكر والا كبار ، واذا ما تفحصنا حياتها نقطة فنقطة ، فلا نجد أمامنا الا برداً ملكياً نفيساً سداه الحب ولحمته الاخلاص للمبدأ القويم ، وهذه كانت تيودورة الوفية المخلصة ، عطر الله ذكرها (١) .

أما حبها للقيصر كزوجة أمينة ، ومعينة مخلصة ، فأمر يذكره لها المؤرخون حتى أعداؤها باجلال وا كبار فقد ضحت في سبيله براحتها وصباها ، ووضعت تحت تصرفه حكمتها وذكاءها وشجاعتها ، فلم يكن يرى القيصر الا مؤامرات خسيسة ضده تحبطها القيصرة الوفية ، ورجال السوء الذين يبيتون له الشر تكشف نياتهم الدنيئة قبل أن يقوموا باعمالهم الهدامة ، وعينا تيودورة ترعاه من جهة ، وتراقب سير الامور في العاصمة وخارجها من جهة اخرى .

---

(١) الانسكلوبيديا البريطانية تحت اسم تيودورة . Théodora

وخلاصة القول انها كانت حارسة أمينة للعرش والتاج والامبراطورية باسرها . والدماغ الجبار المفكر لتلك المملكة المترامية الاطراف ، والقلب النابض للبلاط القيصري في أحلك فترات تاريخه (١) .

هذه أمور محسوسة ملموسة نظر اليها يوسطنيان نظرة اعجاب وتقدير ، فاحترم لاجلها آراء زوجته القيصرة الفائقة الحكمة ، واحترم لاجلها عقيدتها وايمانها ، ووفر لها أسباب المحافظة على تراث آبائها وجدودها ، ولاجلها سعى بكل قواه لعقد الصلح بين الكنيسة الغربية المضطهدة والكنيسة السريانية المضطهدة وعمل بكل ما حاز من سلطة وصلاحيات لملافاة ما أتاه أسلافه القياصرة من الظلم والعسف على الكنيسة السريانية وأصدر الكتب الملكية الى جميع الاقطار يدعو فيها الرؤساء وأولياء الامور الى المهادنة والمسالمة ، وكل ذلك ارضاء لحب تيودورة واخلاصها .

وخلاصة القول ، ان تأثير هذه القيصرة الحكيمة ، كان عظيماً في قلب زوجها القيصر ، للصفات النادرة التي حباها بها الله ، وللخدمة المثلى التي قدمتها له ولعموم مملكته وللعرش نفسه ، الامور التي جنت منها كنيسة تيودورة فوائد عظمى ، لم تجنها في عصر آخر من عصور الامبراطورية البيزنطية .

٤ : تدينها وخدمتها للكنيسة :

لم يكن قلب تيودورة الكبير يستمد قوته وشجاعته ، الا من التقوى والتدين العظيمين اللذين سكناه منذ صباها ، بتأثير النشأة الدينية التي نشأتها في بيت أبيها القسيس الفاضل ، الذي غرس في نفسها كل الفضائل السامية منذ نعومة اظفارها ، لذلك اتخذت الله لها عوناً في جميع أعمالها ، فجاء جهادها موفقاً وموازنتها راجحة ، وكان شعارها الأسمى قول رسول الامم « ان كان الله معنا فمن علينا » .

أما جهادها في سبيل خدمة الكنيسة السريانية فيمكن تلخيصه في ثلاث

---

(١) الانسكلوبيديا البريطانية تحت اسم تيودورة Theodora

نقاط هامة ، اتخذتها تيودورة أساساً لاحياء الكنيسة وانتعاشها ، بعد أن أراد لها اعداؤها الفناء والموت الأكيد ، وهي :

(١) عطفها على رجال الكنيسة :

جلس يوسطينوس على عرش الامبراطورية سنة ٥١٨ م وفي قلبه أحقاد وضغائن ورثها عن أسلافه القياصرة السابقين ففاقهم قسوة وشراسة ، وراح منذ تبوئه العرش يصلي المؤمنين الارثودوكسيين ناراً حامية ، فملأ المعتقلات والمنافي والسجون بالبطاركة والأساقفة ورجال الدين على اختلاف رتبهم واضطهد بقية المؤمنين انى وجدوا ، وهذا سنفصله في مكان آخر ، ولم يزل كذلك حتى هلاكه سنة ٥٢٧ م حيث جلس ابن اخته يوسطنيان ومعه تيودورة ، وكانت فاتحة أمل باسم المؤمنين .

والظاهر ان يوسطنيان لم يستطع اطلاق هؤلاء المضطهدين لاسباب سياسية وادارية فأبقى كل منفي في منفاه ، الا القلائل الذين سمح بعودتهم ، وكان يأمل أن يعقد الصلح بين الكنيسة السريانية المضطهدة والكنيسة البيزنطية المضطهدة ، الا انه لم يتوفق لتمسك البيزنطيين بغرورهم وظلالهم ، وثبات السريان بحقهم وايمانهم لذلك كنت ترى السجون والمعتقلات لا زالت مليئة بالرؤساء والكهنة وغيرهم .

نظرت تيودورة الى كل ذلك نظرة ألم واشفاق . ولم تستطع تحريك ساكن بشأنهم مع كل ما نالته من الصلاحيات الملكية الواسعة حفظاً لموقف زوجها الذي اتهمه البيزنطيون بالتحيز للمنفيين ، لذلك راحت تبذل كل ما في وسعها للتخفيف عنهم في سجونهم ، وهذا كل ما استطاعت عمله .

أخبرنا مار يوحنا الافسسي المؤرخ الثقة ، وهو معاصر وشاهد عيان لهذه الحوادث الدامية ، قال : « كانت القيصرة المؤمنة تيودورة قد جمعت في بلاطها الملكي المسمى (هرموزدا) جمهوراً عظيماً من الاحبار والرهبان يربى

عددهم على الخمسمائة شخص من سريان ويونان ، وكانت تتعهدهم كل يومين او ثلاثة ايام بالعطف والرعاية ، وتطوف عليهم ، وتتبرك منهم ، وتنحني امامهم باحترام ، وتقبل يد كل منهم ، وتقدم لهم عوارفها بكل سخاء [١] وهذا ما ردّد صداه بقية المؤرخين السريان فاطروا عطف هذه القيصرة الصالحة ، والابنة البارة ، على احبار كنيستها وكهنتها ، وذكر بعضهم أنها كانت تغسل اقدام الشيوخ منهم بيديها ، الامر الذي يبرهن ان تيودورة المؤمنة كانت تحوز قلباً يفيض بالعطف والمحبة لرجال الكنيسة ولا سيما المضطهدين منهم ،وهذه لعمري مآثر يسجلها لها التاريخ بخشوع واكبار .

وناهيك عن ذلك فانها كانت تبسط ظلها على الكنيسة السريانية جمعاء ترعاها بكل جوراحها ، وتلبي كل طلب يقدم اليها من احد آبائها او احبارها وكثيراً ما كان يقصدها الاحبار والرهبان من اقاصي البلاد فيقدمون لها التقارير الضافية عن احوال الكنائس والاديار ، وقد ذكر التاريخ كثيرين من الذين قصدوها من بلاد بعيدة فنعموا بعطفها ورعايتها فقد تعرفت على القديس يعقوب البرادعي في القسطنطينية نفسها منذ سنة ٥٢٨ [٢] واولته رعاية عظمى لما كانت تراه فيه من الشمائل الرسولية ،وحوالي سنة٥٤٢ رأيناها توفد بالاتفاق معزوجها القيصر يوسطنيان الراهب يوحنا الآمدي المؤرخ (يوحنا الافسسي فيما بعد) لتبشير الوثنيين، ونشر البشارة في ولايات آسيا الصغرى وقارية وفروجية ولودية [٣] وكان موضع ثقتها واحترامها لما وجدا فيه من الغيرة والتقوى .

---

(١) اخبار يوحنا الافسسي ، خبر ٧ ص ٦٨١ ، المجلد ١٨

(٢) اللؤلؤ المنثور ص ٢٦١ .

(٣) تاريخ يوحنا الافسسي سفر ٣ راس ٣٦ .

وفي سنة ٥٤٠ نزى شمعون الآرشمي ، اسقف بيت ارشيم الواقعة على نهر دجلة بالقرب من سلويق ، يقصد القسطنطينية فيحظى بمقابلتها ، ويدلي اليها باخبار كنيسة العراق السريانية (١) ، وكانت هذه الكنيسة بعيدة عن حمايتها لوقوعها في بلاد الفرس ، ويقيني انه بسط لها اخبار كنيسته وحاجتها الى رعاة ، ولا بد انها وعدته باسداء المساعدة للعراقيين الارثوذكس عند سنوح الفرصة ، وقد رأينا ذلك يتحقق بعد وفاة هـذه القيصرة البارة عند سفر مار يعقوب البرادعي الى العراق ورسامته لكنيسته مطراناً عاماً هو القديس مار احو دامه سنة ٥٥٩ .

٢) همتها في رسامة مار يعقوب البرادعي ، وتيودور اسقف بصرى .

لما علمت تيودورة ان جميع المحاولات التي قام بهـا يوسطنيان لاطلاق المسجونين من احبار الكنيسة السريانية ورعاتها باءت بالفشل ، والكنيسة بحاجة ماسة الى طريقة حكيمة لاحياء المراعيث التي فقدت اساقفتها ورعاتها ، قررت ان تقوم بعمل يبعد الخطر عن الكنيسة في محنتها ، وقد شعر غيرها من اوليـاء الامور بهذه الحاجة الماسة ولا سيما الحارث بن جبلة الغساني ملك غسان ، فقابل القيصرة وباحثها بهذا الشأن الهام ، واتفقا على ترقية الاب يعقوب بن القس تيوفيل راهب دير فسيلتا لاسقفية الرها واسيا ، والراهب تيودور العربي الغساني لمدينة بصرى وسائر انتغابة ، وكان هذان الراهبان معروفـين بقداستهما وغيرتهـما الارثوذكسية ، وعلى الاخص الاب يعقوب الذي انتشر اريـج فضيلته في القسطنطينية وسائر البلاد منذ سنة ٥٢٨ ، وعرفته القيصرة حق المعرفة ولمست فيه تلك الغيرة الرسولية التي وحدها تستطيع احياء موات الكنيسة ، ولذلك دعي الراهبان الفاضلان الى مجلس القيصرة بحضور ملك غسان ، فاقنعا بقبول هـذه

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٢٠٢ .

الخدمة الشاقة في عصر مظلم قاتم ، وهكذا في سنة ٥٤٣ او ٥٤٤ رسم القديس البرادعي في كنيسة البلاط الملكي بوضع يد مارثاودوسيوس بطريرك الاسكندرية ومار انثيموس بطريرك القسطنطينية ، والاباء الذين معها ، فولي القديس يعقوب الرها وبلاد الشام وآسيا وانطلق حالاً الى العمل الذي دعاه اليه الروح القدس متنكراً يطوف بلاد الشام وارمينيا وقبدوقية وقيليقية وايسورية وبمفيلية وليقاونية ولوقية وفروجية وقارية وآسيا الصغرى وجزائر قبرص ورودوس وخيو ومدلي وما بين النهرين وفارس والاسكندرية ، مؤيداً الارثوذوكسيين ومثبتاً عزائمهم الخائرة وناشراً التقوى والفضائل في كل مكان وهو يرسم أساقفة وقسوســاً وشمامسة بلغ عددهم بضعة آلاف، وهكذا تم فيه أمل القيصرة البارة التي رأت بأم عينها انتعاش الكنيسة وعودتها الى العمل والحياة قبل ان تغمض عينيها عن هذا العالم ، وكان هذا التوفيق أعظم مكافأة لجهادها وغيرتها وأعمالها الصالحة.

(٣) اقناع زوجها يوسطنيان بقدسية ايمان الكنيسة :

نشأ القيصر يوسطنيان منشأً مضاداً للكنيسة الارثوذوكسية بتأثير أساتذته الأولين ووسطه الكنسي في القسطنطينية ، وربما كان يضمر حقداً ورثه عن أسلافه القياصرة السابقين لرؤساء الكنيسة السريانية وأحبارها وابناء شعبها ، الا انه منذ تعرفه بثيودورة ورؤيته اخلاصها وتفانيها في سبيله وفي سبيل عرشه وتاجه ، تغيرت آراؤه تجاه هذه الكنيسة ، وأصبح ينظر اليها نظرة عطف واشفاق ، وقد علم المظالم الوحشية التي ارتكبها أسلافه وعلى الأخص خاله يوسطينوس ضدها ، ورأى معتقلات بيزنطية ومنافيها وسجونها تغص برعاتها الامناء وآبائها الأبرار ، الا انه لم يستطع عمل شيء لاطلاقهم تجاه القوة الغاشمة التي كانت تعارض ذلك ، ومع هذا لم يقف هذا القيصر مكتوف اليدين تجاه هذه القضية ، بل عمل كل ما في وسعه لتلافي تلك المظالم ، وأصدر رسائله الملكية يدعو فيها الى الصلح واستتباب الامن في سائر أطراف الكنيسة ، ثم عاد بتأثير

زوجته المخلصة تيودورة يبحث عن الأسباب التي أدت باسلافه الى اقتراف تلك المظالم ، ويقيني انه استعرض النقاط المختلف عليها فعرف صحة عقيدة الكنيسة السريانية . وتأكد من قدسية ايمانها لذلك حرص على عدم اضافة أذية جديدة الى سلسلة المظالم السابقة بل بعكس ذلك استطاع ان يعيد بعض المنفيين ويطلق سراحهم أشباه مارا مطران آمد واختيه ورفيقه ايسيدوروس أسقف قنسرين وبقية تلاميذهما سنة ٥٢٤ م .

والدليل على اقتناعه بقدسية ايمان الكنيسة تأييده عبارة « يا من صلبت لاجلنا ارحمنا » في انشودة التريساجيون التي كان قد أيدها قبله بعض القياصرة الارثودوكسيين اشباه زينون (١) وغيره . وحمله اكليروس القسطنطينية لترديد هذه العبارة في طقوسه الدينية ، ولم يكن ليفعل ذلك لو لم يقتنع بكونها ضرورية ، وذلك استناداً على نتيجة بحوثه مع زوجته تيودورة .

ونحن وان كنا لا نحوز نصوصاً تاريخية تعين النقاط التي أقتنع هذا القيصر بشرعيتها وقدسيتها من ايمان الكنيسة الارثودوكسية ، الا اننا نشيد بذلك استناداً على تأييده انشودة الكنيسة هذه ، مما يبرهن لنا مدى التأثير الطيب الذي تركته تيودورة في قلبه ، وهذا لعمري أمر هام في سياق حياة هذه القيصرة البارة المخلصة لايمان كنيستها ، والوفية بعهودها ، طيب الله ثراها .

وفضلاً عن ذلك نجد يوسطنيان يتأثر بغيرة زوجته البارة وتدينها تأثيراً بليغاً ، فيصرف أعظم الجهد في ايفاد المبشرين لتنصير الوثنيين في مناطق كثيرة أهمها ولايات آسيا الصغرى ، وقارية وفروجية ولوديا والحبشة ، ومن هؤلاء المبشرين يوحنا الافسسي المجاهد وغيره ، ويأمر ببناء الكنائس الكثيرة والاديرة كما سنذكر الآن .

---

(١) اخبار احداث العالم بالسريانية . الجزء ٢ ص ٨ : زكريا الفصيح)

بعد ان مررنا على هذه النقاط الثلاث وعلمنا جهود القيصرة الجليلة في تأييد الكنيسة التي انبتتها ، نطري ايمانها الحي وتقواها ، ويسرنا ان ندعوها تبعا لكتابنا الاسبقين بالملكة المؤمنة والقيصرة الصالحة الطوباوية .

٥ - همتها في نشر الانجيل وتأييد الايمان وبناء الكنائس .

ابت هذه القيصرة الجليلة الا ان تكلل اعمالها المبرورة باكاليل البشارة والعمل على نشر الانجيل وبناء صروح العبادة وقد حدثنا عن ذلك شاهد العيان يوحنا الافسسي الذي كان اداة صالحة لتنفيذ رغبات هذه القيصرة الصالحة ، فانها بالاتفاق مع زوجها القيصر يوسطنيان اوفدته سنة ٥٤٢ لتبشير الوثنيين ونشر الانجيل بينهم ، فتلمذ منهم في مدة تسع وعشرين سنة ثمانين الفا في البلاد التي ذكرناها « وحدثنا بقوله ، « وقد شيدنا نحن بامر هذين القيصرين (تيودورة ويوسطنيان) وكرمهما ثمان وتسعين كنيسة واثني عشر ديراً وحولنا سبعة مجامع يهودية الى كنائس مسيحية في اربع ابرشيات ». (١)

وحدثنا بقية المؤرخين عن اعمال هذه القيصرة بالاتفاق مع زوجها في نشر الانجيل وبناء الكنائس بواسطة يوحنا الافسسي المجاهد (٢) . وقد اعاد المؤرخ ابن العبري الى اذهاننا كل ذلك ولكنه يطري همة القيصرة تيودوره في هذا الشأن ، ويثني على اهتمامها ببناء الكنائس وتفوقها على زوجها يوسطنيان (٣) .

ولم تكتف تيودورة بذلك ، بل شاءت ان توسع اعمالها المبرورة في خدمة

(١) اخبار يوحنا الافسسي ، خبر ٧ ص ٦٨١ مجلد ١٨

(٢) تاريخ الرهاوي السرياني فصل ٦١ وتاريخ ميخائيل الكبير السرياني ص ٣٢٤

(٣) تاريخ البطاركة لابن العبري جزء ١٠ ترجمة البطريرك مارسويريوس الكبير

الانجيل المقدس وانتشاره ، وقد تنصرت معظم بلاد الحبشة بواسطة غيرتها الروحية، وقد اخبرنا المؤرخ ابن العبري عن ذلك قال: « كان قسيس ارثوذكسي اسمه يوليان في خدمة البابا الاسكندري مار ثاودوسيوس اثناء وجوده في القسطنطينية ، وكان همه الاعظم ان يدعو شعب الحبشة الاسود الى الايمان لانهم كانوا وثنيين ، وكانوا في كل فترة يهاجمون الحدود الرومانية ويزعجونها ، ففاتح الملكة المؤمنة تيودورة في هذا الشأن ، ففرحت جدا ، واعلمت الملك بنية سليمة وطلبت اليه ان يهتم بارسال يوليان الى هذا العمل ، اما الملك فارسل وفداً برئاسة اسقف يحمل تحفا وهدايا لملك الحبشة ، ولما علمت تيودورة بذلك ارسلت حالا القسيس يوليان وكتبت بيده رسالة الى دوكوس حارس الحدود الرومانية الجنوبية جاء فيها — وددنا انا والملك ارسال مبشر الى بلاد الحبشة ، وقد ارسلت القسيس يوليان وهو من وطني ، وارسل الملك رسلا آخرين ، فارغب ان تهتم بادخال رسولي اولا ليمهد الطريق لهؤلاء الآخرين — ولما قرأ دوكوس هذه الرسالة عمل بما رغبت اليه الملكة ، فاوقف رسل الملك حتى جاء يوليان وادخله البلاد وقابل ملك الحبشة وقدم اليه رسالة الملكة تيودورة ، فآمن الملك بالرب مع جميع عظماء مملكته ، ثم افهمهم يوليان ان الشقاق الذي احدثه الخلقيدونيون ، وكيف اضطهدوا الرجال القديسين وظلموهم ، وابتدعوا مذهباً جديداً مخالفاً لعقيدة مجمع نيقية ، ولما وصل رسل الملك وهم يحملون الهدايا والتحف ، علموا بنجاح يوليان وقالوا للنوبيين ، لا ينبغي لكم ان تتبعوا هؤلاء المارقين ، فاجاب ملك الاحباش وعظماؤه وقالوا — اننا نشكر الملك يوسطنيان ونقدم له اضعاف ما كرمنا به من الهدايا والاحترام ولكننا لا نتبع الظالمين وقد نلنا المعمودية المقدسة من يوليان هذا الرجل الفاضل ، ولا نريد غيرها . وهكذا تتلمذ الشعب الحبشي الى الايمان الارثوذكسي ، والحق بكرسي الاسكندري ، مكث لديهم القس يوليان زهاء سنتين وروى انه كان يقف في الماء عريانا عليه وزرة صغيرة منذ الساعة الثالثة

حتى العاشرة مساء وهو يعمد ، ثم عاد الى القسطنطينية . (١)

هذه بعض اعمال القيصرة المؤمنة تيودورة ،ومنها نستنتج ان هذه القيصرة الجليلة عاشت لربها كل ايام حياتها ، فقد اسدت الى الايمان غيرة لا توصف ، وكتبت بجهادها تاريخا رائع الصفحات في جميع مجالات الخير .

٦ - نظرة التاريخ السرياني اليها .

ظهرت القيصرة البارة تيودورة في فترة دقيقة من تاريخ الكنيسة السريانية حيث كانت بامس الحاجة الى لطف الله والى منقذ يشد ازرها ، ويعمل على انقاذها من اعدائها الالداء ، وكان لطف الله واسعاً جداً ، حيث قيض للكنيسة هذه الابنة البارة ، فقامت مقام اعظم المنقذين في التاريخ بالنسبة الى امتها وكنيستها ، وانقذتها باخلاصها وتقواها وشجاعتها من موت اكيد ، بمناصرة بعض الرجال الغيارى الذين جعلهم الروح القدس اركاناً قوية لبيعته المقدسة بهمة صفية الله تيودورة ، لذلك نظر اليها التاريخ السرياني نظرة اجلال وتقديس ، فنعتت بالملكة المؤمنة ومحبة المسيح والقيصرة المعظمة ،ونجد تراث القرن السادس السرياني يضعها في اعلى الذرى من الاكرام والاجلال . وتناولت اقلام المؤرخين مآثرها . واطرت اعمالها ، وجعلت لها اسما يفوق اسماء كثيرين من رجال التاريخ العظام (٢) .

وعندما انهت جهادها ، وذهبت الى ربها في ريعان القوة والحياة (٣) سنة ٥٤٨ م عمّ السريان حزن شامل ، وشعروا بفراغ عظيم لم يستطع ان يملأه غيرها

---

(١) تاريخ البطاركة لابن العبري ترجمة البطريرك سرجيس .

(٢) راجع ما كتبه عنها الافسسي وميخائيل الكبير وابن العبري والمؤرخ الرهاوي السرياني .

(٣) تاريخ الراهب القرتميني السرياني ص ٢٠٠ طبعة لوفان سنة ١٩٥٣

في تاريخهم ، واحتفلوا بالصلوات والقداديس لراحة نفسها في جميع الكنائس والاديار ، واقاموا المناحات الكبرى في بيوت الخاصة والعامة اسفا ولوعة على فقدها (١) وادرجوا اسمها في (سفر الحياة) بين اولياء الله ، ومشاهير الملوك الصالحين ، والمجاهدين في سبيل الفضيلة والدين ، ودفنت في كنيسة القديس فيتال في رافينا . ولا زال رفاتها في هذه الكنيسة مغطى بطبقة نفيسة من الفسيفساء ، وقد وقف الفنانون مأخوذين بجمالها الفني الذي يعطي فكرة عن القيصرة تيودورة الجليلة (٢) .

٧ اوصافها وحياتها الخاصة .

كانت القيصرة تيودورة بارعة الجمال ، متناسقة الاعضاء ، بهية المنظر ، حسبما وصفها المؤرخون السريان ، وكانت تحوز نفسا زكية زينها الله بكل فضيلة وبكل مكرمة ، زكية الفؤاد ، جمعت الى الحكمة شجاعة وقوة وغيرة عظيمة ، والى جانب ذلك كرماً شرقياً ظهرت مفاعيله في حياتها العملية ، ويصفها المؤرخون الغربيون بانها كانت مربوعة ذات جلال وبهاء مشوبين بشحوب جذاب ، ذات ملامح اخاذة ، وقسمات رائعة ، وبهاء مشع . نحيفة الجسم رشيقة القد تهتم بصحتها الى ابعد حدود الاهتمام ، وكان مقرها غالباً في قصورها الريفية القائمة على الساحل الاسيوي من البسفور (٣) .

---

(١) مخطوطة في المتحف البريطاني تمت نساختها سنة ٩٩٩ يونانية (٦٨٨ م) تحت رقم ٦٤٧ ، ١ : .

(٢) الانسكلوبيديا البريطانية تحت اسم (تيودورة) م ٢٦ ص ٧٦٥ الطبعة الحادية عشرة .

(٣) فيه .

٨ — المؤرخ بروكوبيوس والقيصرة تيودورة .

لا ندري متى وكيف تولدت هـذه العداوة البغيضة في قلب المؤرخ بروكوبيوس للقيصرة الجليلة تيودورة ، فنحن نعلم من مجموعته التاريخية المسماة « انيكدوتا » Anecdota انه اطرى القيصر يوسطنيان وزوجته القيصرة تيودورة اطراء عاطرا ورفعها الى اوج العز والسؤدد والمجد ، في مطلع مجموعته هذه حسبما يؤيد المورخون الثقاة، والأظهر ان انقلابه ضد القيصرة كان لاسباب مذهبية ، ولان هذه القيصرة التقية قامت بخدمات جليلة القدر لكنيستها وامتها واخلصت لمبادئها القويمة التي رضعتها منذ نعومة اظفارها وشربتها من يد ابيها القسيس الارثودكسي الفاضل ، الامر الذي اغاض كثيرين في عاصمة المملكة وراحوا يعملون على هلاك القيصرة تخلصاً من اعمالها الجليلة لنصرة البيعة التي كانوا يضطهدونها ويرهقون رؤساءها واحبارهـا في المنافي والسجون ، ولسنا نعجب ان ينقلب بروكوبيوس مع غيره من متعصبي القسطنطينية ضد قيصرة عززت صروح مجد باذخ ارادوا تقويضها ووقفت بوجوه المتعصبين منهم بشجاعتها وحكمتها ومنعتهم من اذى كنيسة ابائها التي عاشت من اجلها وماتت وعلى شفتيهـا اسمها الكريم ، وعليه تكون مفتريات بروكوبيوس الخسيسة ضد هذه القيصرة الجليلة لا نصيب لها من الصحة ، ولا سيما ان المؤرخين الثقاة كذبوها تكذيباً فاضحاً واعلنوا ان (الانيكدوتا) مجموعة من الاكاذيب والافترادات ضد قيصرة لها الايدي البيض على الامبراطورية البيزنطية برمتها .

ادعى بروكوبيوس في مجموعته التاريخية الوقحة ، ان هذه القيصرة هي ابنة اقاقيوس مروض الدببة في احد مسارح القسطنطينية، واراداها ابوها الموهوم هذا ان تظهر امام الشعب البيزنطي مغنية وراقصة ، والصق بها اتهامات اخرى نربأ بنفسنا تسجيلها لما فيها من المطاعن بهذه القيصرة التي نسجل اسمها بفخر

واعتزاز بين المجاهدين الابطال في سبيل الفضيلة والدين ، وتكفي بروكوبيوس الصفعة التي صفعه اياها المؤرخون المعتدلون ، وقد ذكر كاتب حياة تيودورة في دائرة المعارف البريطانية، ان الانيكدوتا ذكرت اخباراً سيئة عن حياة تيودورة الاولى ، ولكن ادعاءات كاتبها بروكوبيوس بشأن القيصرة مطعون فيها ، ذلك لانها توفيت قبل ان تكتب (الانيكدوتا) بعشر سنوات ، وان هـذا الكتاب يحوي مغالطات كثيرة ، الامر الذي يجعلنا ننظر اليه كشاهد مشكوك في صدقه جدا وجل ما هنالك ان هذا المؤرخ نقل اخباراً مشوهة عن العائلة المالكة مقتبساً اياهـــا عن الكاتب نيقولا اليماني Nicola Alimanni المؤسس الاول للانيكدوتا ، تدور حول ام يوسطنيان فيجيلانتينيا فجاء بروكوبيوس والصق تلك الاخبار بالقيصرة تيودورة ، مع ان نيقولا اليماني نفسه كتب دون ان يشير الى مصادره التاريخية ، الامر الذي يجلب شكوكاً كثيرة حول كتاباته ، وناهيك عن ذلك ان المستر برايس الكاتب الانكليزي اكتشف في متحـف خاص بروما مخطوطة عن حياة يوسطنيان وتيودورة ، ولم تتطرق تلك المخطوطة الى شيء من افتراءات بروكوبيوس ضد القيصرة ،مما جعل برايس نفسه يقرر ان الانيكدوتا لا قيمة لها في عالم التأليف (١) .

واذا عدنا الى المؤرخـين السريان وعلى الاخص يوحنا الافسسي الذي عرف اسرتها وعاصرها وشهد بام عينه تقواها وفضائلها . وبواسطتها نشر الانجيل بين الوثنيين وبنى الكنائس والديورة ، نجد تقريره عنها هو القول الفصل ،وعنه اخذ بقية المؤرخين السريان وقرروا جميعاً انهذه القيصرة الجليلة هي ابنة قسيس سرياني ارثودكسي من منبج ، ولدت بين احضان التقوى والفضيلة ، ونالت من ابيها الكاهن تربية مسيحية صالحة ، ظهرت مفاعيلها في حياتهـا العملية عندما

---

(١) دائرة المعارف البريطانية المجلد ٢٦ ص ٧٦٤ — ٧٦٥ تحت اسم تيودورة

اصبحت قيصرة ، ولا مجال للشك في قرارهؤلاء المؤرخين لانها ابنة بيتهم وسايلة
كهنوتهم وصاحب الدار ادرى بما فيها ، وعليه لا يبقى لبروكوبيوس الا الكذب
والافتراء ساقه اليها تعصبه المذهبي وحقده البغيض ، ومما يؤسف له ان بعض
المؤرخين الغربيين اخذوا باقواله في شأن هذه القيصرة المبجلة ، ونشروا اسمها
في العالم الغربي مشوهاً تبعاً للصورة الزرية التي نقشتها يد بروكوبيوس الظالمة .

واذا عدنا مرة اخرى الى دائرة المعارف البريطانية نجدها تندد بما ذكره
بروكوبيوس عن هذه القيصرة وتصرح بقولها « ونحن لسنا مجبرين ان نسلم بها
ـ اراء بروكوبيوس ـ لانها غير مؤيدة ، ذلك لان ظروف حكم يوسطنيان المسجلة
في الانيكدوتا تشيد بامجاد كثيرة لهذين القيصرين ، الامر الذي يساعدنا على نبذ
تلك المفتريات كلها ، ومن المفروغ منه بطلان الصورة المشوهة التي رسمتها الانيكدوتا
لهذه الامبراطورة ، اما عن الجمال والسخاء والحكمة ، الامور المنسوبة لتيودورة ،
فلا شك فيها مما ايده جميع المؤرخين واتفقوا عليه ، زمن الواضح انها كانت شخصية
فائقة العظمة ، ولدت لـكي تلمع في جميع مجالات الحياة » (١).

وناهيك عن ذلك ان شخصيتها ـ كما ذكرت دائرة المعارف البريطانية ـ
اشغلت اقـــلاماً كثيرة بين كتابات المؤرخين المتأخرين ، وعلى الاخص
M. Antonin Dibitor في كتابه الافرنسي المطبوع في باريس سنة ١٨٨٥
والمسمى (دراسات في حيـــاة الامبراطورة تيودورة)
l'Impératrice Theodora etude cnitique الذي ينزهها من كل مطعن
الصقه بها بروكوبيوس ، وقد الف عنها كتابات خيالية بطريقة قصصية اهمها ما كتبه
سير هنري بوتنجرس Blue and green . London Hanstand والكاتب

---

(١) نفس المصدر السابق .

M. Rhangobé Tragedy blacket 1879 في كتابه M . Sundon
المطبوع في ليبزيك سنة ١٨٨٤، والدكتور F. Dohen في كتابه - بروكوبيوس
والقيصرة - المطبوع سنة ١٨٦٥ .

وما عدا ذلك اذا استعرضنا حياة تيودورة المليئة بالفضائل والمفاخر لا نشك
ابداً انها نشأت نشأة صالحة وانحدرت من ابوين صالحين كما ذكر المؤرخون
السريان .

تاودورة

تمثيلية تاريخيه تتناول حوادث الكنيسة السريانية في النصف الاول من القرن السادس

المشهد الاول

بيت القسيس في منبج

(تظهر غرفة بسيطة في احدى زواياها بعض الكتب وثلاث فتيات جالسات يتحدثن)

تيودورة : ابنة قسيس منبج .

اليصابات : صديقتها وجارتها .

مريم : صديقة ثانية لها .

تيودورة : ارحب بكما احر الترحيب ايتها العزيزتان فقد جئتما في وقت مناسب فانني بحاجة اليكما .

اليصابات : هل من امر هام يا تيودورة

تيودورة : نعم لدي امر هام وخبر من المنفى

مريم : خبر من المنفى واي منفى فهناك منافٍ كثيرة تشرد فيها اباؤنا واخواننا ، وهم الان يذوقون مر العذاب .

تيودورة : انه خبر هام من البطراء مدينة العرب القديمة ، حيث نفي الاسقفان القديسان مارا مطران آمد وايسيدورس اسقف قنسرين ، فقد تلقيت رسالة في هذا الصباح من صديقتنا القديمة مرتا شقيقة سيدنا مارا وهي حافلة بالمعلومات السارة .

اليصابات : مرتا كتبت اليك الان ؟ انها لبشارة مفرحة فمنذ سبع سنوات لم نسمع خبراً عنها او عن اختها شموني او عن اخيها المطران القديس ورفيقه اسقف قنسرين . نعم انها بشارة سارة في هـــذا المساء فهاتي حدثينا .

تيودورة : هذه هي الرسالة اقرأها لـكما بحرفها الواحد .

عزيزتي تيودورة

شوقي اليك بالرب ، ودعائي لوالديك الكريمين .

وصلنا هذه المدينة منذ مدة طويلة اختي شموني وانا برفقة شقيقنا المضطهد مارا وصديقه ايسيدورس اسقف قنسرين ومعهما كتّاب اخي الاربعة ، الشماس اسطيفان الفصيح وتوما الناسك ، والشماس زوطا ، وسرجيس . ونحن نخدمها في هذا المنفى العجيب وقد استحال جحيم البطراء الى جنة غناء واصبح دار العذاب داراً للنعيم الروحاني .

جئنا هذه المدينة ، والاسقفان القديسان مكبلان وانزلنا القائد في دار صخرية في ضاحية من ضواحي المدينة تحتوي على سبع غرف ، واعطي كل من الاسقفين غرفة خاصة فيها سرير منقور من الصخر ، وخزانة صخرية كذلك ، ولـكل منا غرفة خاصة كذلك ، وهنا ثلاث غرف فارغة اظنها معدة لبقيـــة المنفيين الذين سيأمر القيصر الغاشم يوسطينوس بنفيهم من اساقفة الارثودكسية .

كان سكان المدينة القليلو العدد يوم وصلناها متوحشين لا يعرفون عن الرب شيئاً ، واذا بهم بعد مدة من اشد المؤمنين تقوى وفضيلة . فقد اجتمع هؤلاء السكان رجالا ونساء حول الاسقفين القديسين ، وشرعا يعلمانهـــم ويبشرانهم فوصلت كلمة الله الى هذه القلوب الصخرية فاذابتها ، وعادت الى الله واصبح سجن

المدينة بيعة المسيح حتى ان القائد والجنود المكلفين بحراسة المنفيين اصبحوا حملانا وديعة بعد ان كانوا ذئاباً خاطفة ، حقا ان (كلمة الله لا تقيد) .

يصرف الاسقفان يومهما بالصلاة والتعليم وقد رسما المؤمنين الجدد عدداً وفيراً من القسس والشمامسة ، وازدهرت كلمة الله في هذه البقعة الموحشة ، واما نحن - شموني وانا - فنشارك الاسقفين والمؤمنين الصلاة ثم نعود الى الخدمة لتوفير الراحة لهما .

تعلمين ان لاخي ولعاً خاصاً بالكتب ، وقد اجتمعت اليه مجلدات كثيرة يونانية وارامية وهو دائب في منفاه على الكتابة والتأليف ومثله صديقه ايسيدورس وانما نشكر الله على هذه الخلوة العذبة التي بددالرب كروبها بخدمة كلمته الازلية .

اراد المجرمون ان يقيدوا الحق ، وان يحصروا نور الشمس في الغربال ، الا انهم باءوا بفشل ذريع فان الحق ينادى به في هذه الربوع النائية ، وينتشر في هذه القلوب العطشى مثلما ينتشر نور الصباح في المسكونة كلها .

الاسقفان القديسان مرتاحان جداً ، الا انهما متألمان على رعيتهما ، لانهما لا يعلمان عنها شيئاً ، وهما يصليان لأجل تلك الحملان الوديعة التي حرمت عطفهما وحراستهما ، ومما يعزيهما ان المسيح الراعي الصالح كفيل برعايتها .

لا نعلم شيئاً عن بقية المنفيين في بقية الاقطار غير اننا سمعنا من قادم قبل بضعة ايام ان كثيرين منهم استشهدوا . وان مار فيلكسينوس مطرانكم العلامة القديس قد مات في مدينة غنغرة مختنقا بالدخان ، وان سيدنا البطريرك مار سويريوس لا زال يواصل جهاده من ارض مصر ، ومنذ بضعة ايام وردت منه رسالة ضافية مشجعة لاخي المطران وصديقه الاسقف .

واخيراً ابثك يا تيودورة اشد الاشواق الروحية سائلة سلام والديك واصديقتنا اليصابات ومريم .

اختك بالمسيح

مرتـا

اليصابات : « تكفكف دموعها » حقا انها لرسالة هامة تكتبها الاخت مرتا . ولعلها في المنفى تذكر الايام العذبة التي قضيناها سوية في المدرسة.

مريم : اني اؤمن ان السيد المسيح لا يترك الكنيسة ، فقــــد ارهقها المضطهدون ، الا ان هذا الاضطهاد زاد في ايمان اولادها واعدّهم جميعاً جنوداً روحيين يدافعون عن حقها اينما كانوا وحيثما حلوا ، فقد اصبح المنفى عند الاسقفين الفاضلين حقلاً للعمل والتبشير وهكذا كما قالت مرتا نقلاً عن الكتاب ان كلمة الله لا تقهر .

تيودورة : نشكر الله على هذه النتائج الباهرة ، ولي الثقــــة بالرب يسوع المسيح انه سيؤيد الكنيسة تأييداً كاملاً حتى نهاية الجهاد .

اليصابات : حقاً اني اذكر مرتا في يقظتي ومنامي ، وكم احييت الليالي الطوال في الصلاة من اجلها ، فقد كانت تحبنا كثيراً ، ولها فضل الاخت الكبرى والمعلمة الصالحة لنا يوم كنا على مقاعد المدرسة . فهل تذكرين ذلك يا تيودورة ؟

تيودورة : كيف لا اذكر وفي طيات قلبي اقدس الذكريات لتلك الاخت المحبوبة ، فما اثرها بنا ونحن نصغرها سنا سنوات كثيرة اذ علمتنا الوداعة والتواضع والفضيلة ، وغرست في نفوسنا محبة الله والكنيسة منذ نعومة اظفارنا .

مريم : اني اذكر ذكاءها وقوة ذاكرتها فقد سمعتها تردد الياذة هوميرس باليونانية بيتاً بيتاً ، الامر الذي عجزت عنه جميع طالبات المدرسة

وكانت تروي مئات الابيات لمـــار افرام واسحق الانطاكي والسروجي ، حقا نها كانت شعلة من الذكاء .

تيودورة : ان اطلاعها الواسع على تاريخ الكنيسة الهمنا الحب الشديد لهذا الموضوع الجليل ، فكنا في ساعات المطالعـة نستعرض مواكب الشرف في الكنيسة منذ فجر وجودها . والمستوى الرفيع الذي بلغه جهادها. ويوم جلس على العرش البطريركي سيدنا مار سويريوس اذكر الخطاب الذي القته مرتا في المهرجان العظيم الذي أقيم في المدرسة ابتهاجاً بهذه المناسبة السعيدة .

اليصابات : كاني برسالة مرتا هذه تعيدنا الى الوراء سنوات عديدة ،فنقابل حاضر الكنيسة بماضيها وهي الآن وان كانت مضطهدة مرهقـة ، الا انها اقوى منها في اي وقت كان .

تيودورة : للكنيسة رب وراء صالح هو يسوع المسيح ، ولنا الايمان والثقة بانه سيؤيدها في جهادها وسيخرجها من هذه الضيقة العظمى ، الا ان قلوبنا البشرية الضعيفة لا تستطيع تحمل هــــذه الآلام . ويوسطينوس الغاشم قد نكل بنـا هذا التنكيل الفظيع . جازاه الله بحسب اعماله وقسوته .

(تقف الفتاتان ـ اليصابات ومريم ـ وتودعان صديقتهما تيودورة)

اليصابات : اسمحي لنا يا تيودورة بالانصراف ، فقد نسينا نفوسنا في هـــذه المواضيع واشتدت علينا وطأة الالم .

مريم : وقد جنّ الظلام .

تيودورة : لترافقكما السلامة ايتها العزيزتان فقد الهمتماني عزاء روحياً عظيماً . وليكن الله معكما .

(تخرجان وبعد برهة — يدخل قسيس شيخ وامرأة شيخة هما والدا تيودورة ووالدتها فيجلسان ويتحدثان معها)

القسيس : ان الدروس التي علمتك اياها يا بنيتي الوحيدة تيودورة ، أظنها كافية لكي تكون لك سلاحاً في هذه الحياة ، وأنا قد بلغت من العمر عتياً ، وليس لي في الحياة ذكر سواك ، فكوني يا بنيتي كما أردتك أن تكوني .

تيودورة : ان الاسلحة الروحية التي جلببتني اياها يا ابتاه ستكون لي خير أداة الدفاع عن مثلك العليا (تلتفت الى الشيخة) أليس كذلك يا أماه؟

الشيخة : نعم يا بنيتي وهذا عهدنا فيك ، فسيري على بركة الله ، ومن يدري ربما بعد ايام قليلة سنرحل نحن عن هذه الحياة ، ولسنا نأسف لاننا لم نعقب ولداً يحيي اسمنا ، فلنا العزاء في ادبك واخلاقك وتربيتك الصالحة .

تيودورة : هذا فضل منكما يا أمي فانتما قد أعددتماني لهذه المثل العليا ، وغرستما في قلبي منذ نعومة اظفاري التقوى والمحبة والاخلاص وسائر الفضائل . فليدم ذكركما ابوين صالحين ولتكونا مثلاً أعلى للآباء والأمهات .

القسيس : (في يده كتاب يقرأ تلاوة ، وطوراً ينظر الى الام والبنت ثم يرفع رأسه فيقول) :—
اكرر وصيتي لك يا عزيزتي تيودورة . بان تتمسكي بحق الله . ولا تتركي الكتاب من يدك ولي امل عظيم ان الله سوف يعظم شأنك .

تيودورة : (تبتسم قليلا) طالما رضاكما علي يا والدي سأكون عند ظنكم لان رضاكما من رضى الله .

كأننا الآن في وداع من هذه الحياة

الشيخة : تيودورة . تيودورة ... فاعيدي جميع الدروس والوصايا في فكرك وصوني تلك الشجاعة الروحية التي الهمتك اياها تقوى والدك وتعاليم امك الشيخة الفانية . واستعدي لمجابهة واقع الحياة .

تيودورة : ارجو الله ان تعيشا طويلاً الى جانبي فاخدمكما في شيخوختكما وأدفع لكما الديون التي لكما عليَّ . لكي اكون بحق ابنة برة بابوين صالحين فدوماً لابنتكما تيودورة لكي تتعزى بكما وتبقى الى جانبكما امينة مدى الحياة .

(يطرق الباب طرقات خفيفة)

القسيس : من في الباب ؟ افتحي يا تيودورة لنرى من الطارق .

تيودورة : (تفتح الباب فيدخل كاهن شيخ فيستقبله القس يوحنا استقبالاً كصديق حميم . وتنحني تيودورة فتقبل يده . وكذلك الام تطلب بركته)

القس يوحنا : مرحباً بك أيها الاب يعقوب ما أتى بك الينا في هذا المساء ؟

القس يعقوب: (يتلعثم قليلا) أتيت لكي اخبركم بأمرهام علمته منذ نصف ساعة فقط . ولكني لست متأكداً بعد من صحته ، ولا ادري هل يكون فيه خير للكنيسة أم سيتفاقم الشر ويزيد الاضطهاد .

القس يوحنا : اذا هو أمر عظيم طالما سيضع الكنيسة في مفرق الطرق ، فهات ولي أمل أن يكون خيراً .

(تيودورة تنتفض وتصوب نظراتها نحو القسيس يعقوب)

القس يعقوب: نعم يا ابت انه أمر عظيم فقد حضر في هذا المساء احد المسافرين وقال ان الملك يوسطينوس قد مات .

تيودورة : مات الملك هل هـذا صحيح ؟ لا زال بعد في ذروة القوة لانه لم يملك الا تسع سنوات فقط .

القس يوحنا : لا تضطربي يا بنيتي فالاعمار بيد الله ، والملك يوسطينوس كاد يبيد كنيسة الله ، ومن يدري هل سيكون خلفه أحسن منه ؟

القس يعقوب: ذلك ايضاً بيد الله لان (قلوب الملوك بيد الله) .

تيودورة : اواه ان الفظائع التي ارتكبها الملك يوسطينوس لا تحصى ولا تحصر وهذه دماء الشهدآء لا زالت تسيل في تلك الجبال ، وتخضب هاتيك السهول ، فوارحمتاه عليك يا بيعة المسيح السريانية ، وارحمتاه عليك يا ام العلوم والفضائل ، واحسرتاه عليك يا منبت الملافنة والعلماء والنساك ، يا مجمع المكارم (تسكت وتغطي وجهها بيديها وتبكي) .

القس يوحنا: لا تبكي يا بنيتي فكنيسة الله السريانية كالشجرة الخضراء المورقة، ما سقطت منها ورقة الا وانبتت اغصانها اوراقاً كثيرة اخرى ، فطيبي نفساً لن يترك المسيح قطيعه الصغير بيد الذئاب الخاطفة .

تيودورة : اجل يا ابت ان الملك يوسطينوس كان ذئباً خاطفاً ، فمنذ تبوئه العرش راح يفترس حملان المسيح الودعاء ولا ذنب لهم سوى عدم اذعانهم للضلال .

القس يعقوب: بارك الله فيك ايتها الفتاة العجيبة ، فان قلبك يلتهب حباً لقطيع المسيح فليمنحك المسيح كل خير وبركة .

تيودورة : لا فضل في ذلك ايها الاب الجليل ، فان والدي – كما تعلم – اطلعني على كل الامور الخاصة بالكنيسة وافعم قلبي حباً لجميع ابنائها ، وما زاد في المي على هذه الكنيسة المرهقة المضطهدة ، الاعمال الوحشية التي قام بها هذا القيصر البربري ، الذي يدعي المسيحية هو واتباعه

والمسيح جل شأنه يتبرأ منه ومن اعماله الجائرة .

القس يعقوب: نحن كلنا نعلم ذلك يا بنيتي ولكن ما العمل ؟

تيودورة : ما العمل ، العمل الوحيد الذي يجب القيام به هو الصمود في وجه الطغيان والثبات في الايمان (وابواب الهاوية لن تقوى عليها) .

القس يوحنا : خففي عنك يا بنيتي فربما يبدل الله الاحوال ، وتشرق الشمس بعد هذا الظلام الدامس .

القس يعقوب: نعم خففي عنك يا تيودورة ، ولا تكوني رقيقة العواطف بهذا المقدار ، وحافظي على هدوئك .

تيودورة : اجل انني رقيقة العواطف ايها الاب الجليل ،والالم يحز في نفسي، لانني رأيت بأم عيني جور الطغاة يذيقون رعاة الكنيسة مر العذاب.

القس يوحنا : كلنا رأينا ذلك يا بنيتي ، وها نحن ننتظر يوم الخلاص .

تيودورة : يوم جلس يوسطينوس على عرش المملكة كنت راشدة ، افهم كل شيء ، وعمري زهاء ثماني عشرة سنة ، وان انسى لن انسى يوم هاجم جنود الملك القساة دار المطرانية واخرجوا منها ذلك الراعي الصالح مار فيلكسينوس ، والهبوا ظهره بسياطهم الكافرة .

اجل . اجل . لا زالت اشباح ذلك المنظر الرهيب تتراقص نصب عيني ، رأيتهم يقودونه بيديه كما يقاد المجرمين وقد كبلوهما كما تكبل ايدي اللصوص وقطاع الطرق .

واحسرتاه عليك يا سيدي فيلكسينوس يا من كان يراعك شوكة في عيونهم ، وسهما في قلوبهم ، قد اغرقتهم في بحر علمك الواسع ، وحكمتك الرائعة ، لذلك تألب عليك ثعالب بيزنطية ، ولكنهم لم

يستطيعوا ولن يستطيعوا النيل من عظمتك وخلودك وكل ظلمات العالم لا تستطيع ان تطفيء شمعة واحدة صغيرة .

القس يوحنا: حسبك يا تيودورة حسبك ، فان ابانا مار فيلكسينوس وغيره من رعاة الكنيسة سجلوا تاريخهم بدمائهم ، وهم الان في عداد الخالدين

القس يعقوب: ذلك كله حق يا تيودورة وحسب المجاهدين فخراً صمودهم امام الضيق والاضطهاد .

تيودورة : ومما يدمي ويؤلم ان سيدنا مار فيلكسينوس رغما عن شيخوخته وضعف قواه البدنية ، نفي بشراسة الى بلاد غريبة ، حيث لا نصير ولا معين غير الله ، وبعد ذلك سجن في غرفة ضيقة اضرمت النار حولها فماد الدخان وخنقه منذ ثلاث سنوات

القس يوحنا : لا بأس يا بنيتي فقد قيل قديماً ان دماء الشهداء بذار الايمان ، فلنكن اقوياء ونصمد لكل ضيق واضطهاد في سبيل الايمان .

تيودورة : وماذا اقول عن جهـــاد سيدنا البطريرك مار سويريوس ذلك الكوكب الدري المتألق الذي اضطره المضطهدون ان يسكن مصر ويترك خرافه الوديعـة في طول سورية وعرضها هدفاً للغاصبين والناهبين ، الم تعلموا بآلامه وعذابه ، ووحدته في صومعة صغيرة ، ولكن مما يعزي ان رسائله الكريمة تقرأ في جميع الكنائس وهي كافية لتمنح المؤمنين شجاعة وثباتاً في الايمان حتى النهاية .

القس يعقوب: كوني مطمأنة ايتها العزيزة ، فان مار سويريوس بطريرك انطاكية وان كان بعيداً عن خرافه الوديعة هو حاضر لديها بروحه ، والبارحة وردت رسالة عجيبـة من يده الكريمة وستطلعون على محتوياتها يوم الاحد القادم .

تيودورة : وعلمتم ان منذ سبع سنوات نفي ايضاً المجاهد العظيم مار يوحنا مطران تلاّ من كرسيه ، وسمعتم اي عذاب اذاقه المضطهدون في الجبال ابان الشتاء حيث تجمدت شعور لحيته واصبحت كالابرة الحادة واقفة ، وكان المضطهدون يقلعونها بايديهم الظالمة والمعترف يتحمل كل تلك الآلام المبرحة ، وليس على جسده غير كسوة بالية بسيطة ،

(تضع يديها على عينيها وتبكي) ثم تقول .

واحسرتاه عليكم يا رعاة الحق كم كان جهادكم قاسياً وآلامكم مبرحة لا تحتمل ، فليكن المسيح أستاذكم الاكبر نصيراً لكم ولهذه البيعة البائسة (ثم ترفع رأسها) ولكن ثقوا ان جهادكم سينادى به بفخر واعجاب في جميع العصور ، فطوباكم وقد اضطهدوكم وقالوا عنكم كل كلمة شريرة من أجل المسيح كاذبين .

القس يوحنا : أعتقد يا بنيتي انه قد انتهى كل شيء بوفاة الغاشم يوسطينوس، ولي امل عظيم ان الكنيسة ستعود الى عهد عزها ونشاطها .

القس يعقوب : لا داعي للألم الشديد أيتها العزيزة تيودورة ، فلا زالت الجبال مليئة بابناء الارثودكسية الابرار ، ولا زالت المدن والقرى غاصة بهم ، واذا كان هذا الوحش البشري قد مثل بالرعاة فلا زالت الرعية سالمة ، والمسيح يحرسها وابونا مار سويريوس ذو العزيمة الحديدية يرعاها .

تيودورة : هذا كان يوسطينوس ، وهذه كانت أعماله الجائرة ، صان الله خرافه الوديعة من شر الطغاة والجائرين

القس يوحنا : لقد أنتهى الآن كل شيء ولنا ان ننتظر أموراً جديدة ، ولا يسوع

لنا ان نيأس فان وراء هذه الظلمات شمساً مشرقة .

القس يعقوب : ولنرى من سيخلف يوسطينوس ، والاكثر سيكون خليفته يوسطنيان ، وقد سمعت اناساً يمدحونه ويطرون عطفه وحلمه وشجاعته ، ولعل المملكة تجد راحة واطمئناناً في ملكه .

تيودورة : ليكن من شاء ، ولكننا نأمل أن يكون خير للقطيع المضطهد ، وهل نتوقع أن يعود الاساقفة المنفيون الى كراسيهم ؟ ذلك بيد الله ايضاً .

القس يعقوب : (يغادرهم) — أستودعكم الله الآن أيها الأب يوحنا ، واطمأني ايتها العزيزة تيودورة ونامي ليلتك هادئة فان غداً لناظره قريب .

القس يوحنا : (يصافحه) مصحوبا بالسلامة ايها الاب وقد كانت جلستنا مؤثرة ومؤلمة في وقت واحد ولا اعتقد العزيزة تيودورة ستبقى متأثرة .

تيودورة : رافقتك السلامة ايها الاب الجليل (تنحني وتقبل يده) وقد اثرت بنا ذكريات مؤلمة طالما حرقتنا كل هذه المدة ، ولكن الله جلت عظمته بهذا القطيع الصغير كفيل (يخرج) .

المشهد الثاني

بيت القسيس ذاته في منبج

(أمل الكنيسة)

تظهر غرفة القسيس ذاتها والقسيس جالس مع أبنته تيودورة وزوجته الشيخة) .

القس يوحنا : (يظهر القسيس باسما مسروراً) لقد أشتد سروري في هذا الصباح يا بنيتي تيودورة فقد حلمت حلماً رائعاً جداً، ولي امل عظيم بتحقيقه خيراً وبركة.

تيودورة : حلمت حلما يا أبي ، ايكون مثل احلام يوسف

الشيخة : الأحلام ليست الا نتيجة الهواجس الدائرة في فضاء التفكير البشري نهاراً ، واذا ما رقد الانسان واستسلم للنوم الثقيل ، تظهر تلك الصورة مكبرة وتكتسب لونا جديدا .

تيودورة : يصح ذلك يا اماه في الاحوال الطبيعية . الا ان الكتاب المقدس يروي احلاماً كثيرة رآها بعض الرجال فتحققت بالحرف الواحد، فهذه احلام يوسف ، وفرعون ، ونبوخذ نصر ودانيال ، وهل نستطيع ان نقول انها كانت نتيجة الهواجس ؟ .

الشيخة : اذاً الاحلام التي هذه صفتها هي نوع من انواع الوحي الالهي .

تيودورة : هذا هو صحيح يا اماه (تلتفت الى والدها القسيس) فهات حدثنا عن حلمك يا أبتاه وليجعله الله خيراً .

القس : انه حلم رائع رهيب جداً يا تيودورة ، وكله كان يدور حولك ، واسأل الله ان تتم نبوتي فيك ، وستتم حتما ولكن باية طريقة لا ادري .

تيودورة : حولي ؟ فسقيا لاحلامك يا دانيال ، وتألقاً لنجومك يا يوسف .

القس : نعم حولك يا عزيزتي تيودورة ، ولي امل عظيم ان نفسك تحمل احلام يوسف وتألق دانيال .

تيودورة : اذاً عجّل يا والدي فقد اقلقت فكري ، وما عساي ان احمل في نفسي من احلام يوسف ومن تألق دانيال .

القس : رأيت فيما يرى النائم ، وكأنّ تيودورة المحبوبة اصبحت حمامة بيضاء وخشيت ان تطير عني فمددت يدي لاقبض عليها ، فحلقت في الجو ومدت جناحيها البيضاوين الجميلين فغطيا وجه الشمس ، وامتد على الارض ظل وارف هنيء والتقت في الجو بنسر هائل ، وكانت الامم والشعوب تحت ظلها ، وبعد برهة عقد لهما تاجان ذهبيان مرصعان بالآلىء الكريمة

(يصمت القس ويضع يده على جبهته ليستعيد شيئاً نسيه)

ثم رأيت الكنائس السريانية تتجمع تحت ظل تيودورة وفيها عدد لا يحصى من رؤساء الاساقفة والاساقفة والكهنة ، وجماهير غفيرة من المؤمنين ، وسمعت صوتا يقول ان جميع هؤلاء الألوف من الناس لم وان يحنوا ركبهم للبعل .

تيودورة : مهلا يا والدي ، فانه حلم رائع ورهيب وابنتك تيودورة اضعف من ان يكمل فيها مثل هذا الحلم ، فابنة قسيس منبج ما عساها ان تكون ؟

القس : يجب ان يتحقق الحلم يا عزيزتي ، فلم تكن استير غير ابنة اخي مردخاي ، ومع ذلك وضع على رأسها تاج المملكة الفارسية ، ولي امل عظيم فيك يا تيودورة ان يعظم شأنك كما قلت لك سابقاً .

الشيخة : ان حلمك رائع جداً واما تحقيقه فبيد الله ، والذي حقق احلام

يوسف ، ليس عجيباً ان يحقق هذا الحلم الجميل فتصبح تيودورة مثل استير وأعظم .

تيودورة : اقلقتني يا والدي ، ولست ادري بماذا اعلق على هذه الرؤيا العجيبة .

القس : علقي ما شئت ان تعلقي ، وسيتم كل شيء ، وستصبح تيودورة ظلا وارفا يستريح فيه المتعبون .

(يطرق الباب ... تفتحه الشيخة . ويدخل جندي بيزنطي ، ويقف امام القسيس)

الجندي : هذا بيت القس يوحنا ؟

القس : نعم يا ابني هذا هو .

الجندي : وحضرتك القسيس المشار اليه ؟

القس : نعم يا ابني وماذا تريد مني ؟

الجندي : ان قائدي جيوش القيصر يريدان زيارتكم في امر هام .

القس : قائدا جيوش القيصر ؟ وماذا يريدان ؟

الجندي : لا ادري ، وهوذا هما في الباب .

القس : اخرجي يا تيودورة من الباب الصغير مع امك لنرى ماذا يريد القائدان (ثم يلتفت الى الجندي) ليتفضلا يا ابني فانني حاضر لاستقبالهما

(يفتح الباب ويدخل قائدان بكامل بزتهما العسكرية)

القائدان : أسعدت صباحاً ايها الاب الفاضل .

القس : سعدتما صباحاً ياولديّ . وعلى الرحب والسعة (ينحنيان فيقبلان يد القسيس)

القائد الاول : (يشير الى نفسه) ان ولدكم ميخائيل القائد العام لفرق المشاة في جيش القيصر يوسطنيان

القائد الثاني : (يشير الى نفسه ايضاً) ولدكم يوحنا القائد العام لفرق الخيالة في جيش القيصر .

القس : ارحب بكما يا والدي ، وارجو ان تكون زيارتكما خيراً .

القائد مخائيل: انها كل الخير أيها الأب الجليل .

القائد يوحنا: انها لاستمداد البركة من هذه الشيخوخة الوقورة ، والقيام برسالة هامة جداً لجلالة القيصر يوسطنيان لديكم

القس : رسالة هامة جداً لجلالة القيصر لدي ؟

مخائيل : نعم أيها الأب الجليل .

يوحنا : وزيادة في الايضاح نعرفكم يا أبت الجليل عن كل لكي تطمئنوا الينا ، وتتكلموا بصراحة كاملة ، فولدكم (يشير الى نفسه) يوحنا بن تيودورس ، جاء والدي من مدينة الرها الى القسطنطينية منذ أمد بعيد . وعاش في ظل البلاط . فنفاه القيصر يوسطينوس فيمن نفى من رجال الكنيسة الذين تمسكوا بالايمان الرسولي القديم . وتوفي في المنفى ، فربتني أمي تربية صالحة ، ونشأت في المدرسة العسكرية ، ثم خدمت جيش بيزنطية خدمات جليلة ، وما أن تبوأ يوسطنيان العرش حتى أعاد الى والدي اعتباره بعد وفاته . وعينني رئيساً عاماً لفرق جيش الخيالة .

مخائيل : (يشير الى نفسه) وولدكم ميخائيل بن يعقوب ، وكان شقيق والدي قسطنطين حاكماً في مدينة آمد وابن عمي هو الآن المعترف مارا بن قسطنطين مطران آمد .

القس : اذاً كلاكما يا ولدي من أبناء الارثوذكسية ؟

يوحنا : نعم أيها الأب الجليل ، بكل فخر واعتزاز .

القس : وكيف أسند اليكما القيصر يوسطنيان هذين المنصبين الخطيرين ، ألم يرث أحقاد اسلافه للاورثوذكسيين ؟

مخائيل : القيصر يوسطنيان ، يهمه أمر المملكة بالدرجة الاولى لذلك لا مانع لديه أن يقدم في جيشه الأمناء والمخلصين وان خالفوه عقيدة ، وقد صرح يوم تبوئه العرش بأن كل انسان هو حر بعقيدته وعبادته لله بالشكل الذي يراه ، ولكنه مدين بالخدمة الامينة للعرش والمملكة وهكذا اسندا الينا هذين المنصبين ، ونحن سنخدم العرش والمملكة بامانة واخلاص ، ولنا الأمل الوطيد بالنجاح في كل مهمة تسند الينا .

يوحنا : وحتى في المهمة التي اسندها الينا الآن .

القس : بقي أن نعرف هذه المهمة أيها القائدان الفاضلان .

مخائيل : المهمة تتعلق بقلب القيصر مباشرة ، عسى ان ننجح فيها لديكم يا أبانا الجليل .

يوحنا : وفوق هذا ستجني منها فوائد عظيمة تتعلق بالكنيسة .

القس : أفصحا يا ولدي .

مخائيل : بلغت مسامع القيصر اخبار عاطرة عن كريمتكم تيودورة ، فوصفت بالشرف والأدب والجمال ، الامور التي تزين العرش والصولجان ، فأرسلنا جلالته اليكم لكي نخطب تيودورة الكريمة زوجة لجلالته ، ونحن متخوفان من عدم موافقتكم لمعرفتنا بشعوركم نحو البيت المالك .

القس : يعز عليّ أن اردكما خائبين يا ولدي ، وأنتما أعرف مني بالجرائم الفظيعة التي ارتكبها اباطرة بيزنطية بأمتنا وكنيستنا ، وتقرّان أن أحدكما نفي والده فمات في منفاه ، والآخر لا زال ابن عمه الاسقف القديس في المنفى ، وكيف نستطيع ان نوفق بين هذه الامور

المتعاكسة .

يوحنا : نحن لا ننزه يوسطنيان عن عاطفة اجداده واسلافه ، ولكننا نؤكد لكم أيها الأب الجليل ، أنها فرصة نستطيع بواسطتها استرداد حقوقنا المهضومة .

القس : القيصر يوسطنيان وخليفة يوسطينوس ، ووريث الاحقاد القديمة للقطيع المضطهد لا لذنب الا اتمسكه بحقه الاصيل ، أيمكن أن تقدم له فتاة رباها الهيكل الارثودكسي ، وسقاها الكاهن الشيخ تعاليم الانجيل صافية نقية ؟ أيهون ذلك على قلبيكما ؟

ميخائيل : أن القيصر ان يسترد رغبته هذه بأي ثمن كان ، وهو مستعد ان ينزل عند جميع الشروط التي تملونها عليه بشأن كريمتكم تيودورة فتنازلوا يا سيدي لاجابة طلبه ولنا آمال باسمة برضاكم .

القس : وهل تثق بعد الآن بشرف بيزنطية وعهودها ، وقد اشبعت رؤساءنا وأباءنا ألاماً مبرحة ، وهذه المنافي والمعتقلات مليئة بهؤلاء الأبرياء هل نثق بعد هذا كله ؟

يوحنا : ثقوا يا أبانا الجليل أن القيصر يوسطنيان ، إن كان سليل عرش بيزنطية ، وخليفة يوسطينوس ، الا انه يحمل قلباً طيباً ، وعطفاً عميقاً نحو جميع أبناء مملكته بغض النظر عن عقائدهم ، والبرهان على ذلك اسناده الينا هذين المنصبين الرفيعين في المملكة ، وفوق ذلك انه ذو عرش وتاج وصولجان ، وهذه المملكة المترامية الأطراف تدين له بالطاعة والخضوع .

القس : ليكن ما شاء أن يكون ، فابنة القسيس الشيخ ان تستطيع تبديل عقيدتها وإن كلفها ذلك صباها وجمالها بل لن تبيع كرامتها ببهرجة

العرش والتاج والصولجان ، وهذه أمور فانية ، والمبادىء تفوقها ثمناً وشرفاً وكرامة .

يوحنا : اصرح لكم يا سيدي أن جلالة القيصر فوض الينا التوسط بهذه المهمة ، ويجب ان ننجح بأي ثمن كان ، ونحن مستعدان لتلبية طلباتكم ، والخضوع لجميع الشروط التي تملونها علينا نيابة عن سيدنا صاحب الجلالة ، وهذا ختمه بيدي (يريه القسيس) وقد فوض الي التوقيع على كل الشروط التي تطلبها وهوذا الختم بين يديك (يلقي به الى القسيس) انه لأمر عجيب أن يفوض القيصر قائديه بمهمة مثل هذه ، ولي شرط واحد فقط لكي اوافق على اعطاء يد تيودورة العزيزة للقيصر .

مخائيل : من الآن سنوافق على الشرط مهما كان ، وبعد هنيهة سيحضر اليكم القيصر بذاته للتوقيع على شرطكم واداء اليمين على صيانة العهد .

القس : (يضع يديه على عينيه ويتأمل ثم ينظر الى القائدين بعينين مغرورقتين بالدموع ، اني الآن يا ولدي أمام محنتين متضادتين ، ويجب علي أن أوافق على احدى المحنتين ، وطالما سيحضر جلالة القيصر بذاته ، فلاسمعن منه العهد مباشرة .

(يدخل اربعة جنود بكامل سلاحهم ، ويؤدون التحية العسكرية للقائدين ثم يقول احدهم)

الجندي : سيدنا القيصر في الباب .

(يهرع القائدان والقسيس الى لقائه ، فيدخل القيصر ببزة عسكرية ، وينحني قليلاً للقسيس ويصافحه ، ويجلس على كرسي بسيط في غرفة القسيس ، ويبقى القائدان واقفين وقفة عسكرية)

القيصر : يسرني أيها الأب الجليل أن اتبرك بهذه الشيخوخة الوقورة .

القس : ويبهجني أيها القيصر العظيم ان تتشرف غرفتي الصغيرة هذه بصاحب العرش والتاج والصولجان .

القيصر : منذ وطأت قدماي أرض منبج ، وفي أذني أخبار تقواكم وفضائلكم وقد تاقت نفسي لرؤية هذه الشيخوخة البهية ، المكللة بأكليل الكهنوت المقدس ، ولي الشرف أيها الأب الجليل ان يكون شخصك الكريم بصفة والد لي .

القس : ليعش شخصكم العظيم الى الأبد يا صاحب الجلالة ، وليبارككم الله ويعطيكم رقاب أعدائكم ، وليدم لكم تاجكم رفيعاً وصولجانكم عالياً وليصن عرشكم من كل مكروه .

القيصر : طبعاً نقل اليكم قائدي الامينان رغبتي ولا أظن ان هذه الشيخوخة الكريمة تقف تجاه هذه الرغبة الشريفة .

القس : اسمحوا لي يا صاحب الجلالة أن أكون صريحاً أمام جلالتكم بل أن أكون صادقاً بكلامي في حضرتكم لأن الصدق أليق مايخاطب به الملوك .

القيصر : وهذا عهدي بهذه الشيخوخة المحترمة ، الصراحة والصدق ، وكلاهما زينة الشباب ، وكرامة الشيخوخة .

القس : تطلبون ايها المليك المفدى ابنتي زوجة لكم ، وهذا شرف عظيم لي كرجل وكرامة عظمى لابنتي كفتاة . ولكن هل تعلمون يا صاحب الجلالة ماذا جناه أسلافكم على أمتنا وكنيستنا ؟

القيصر : أعلم كل شيء يا أبتي ، وينشرح صدري بقولي لكم ان ذلك العهد المظلم قد مضى ، وأرجو أن أكون عند حسن ظنكم ، وأعدكم منذ

الآن أن أبذل جهدي في تسوية الأمور تسوية عادلة .

القس : لست متعصباً يا سيدي القيصر ، ولا أفرق بين مسيحي ومسيحي طالما كلنا نعبد المسيح جلّ اسمه ، ولكن كلما فكرت برؤساء كنيستي وابائها وهم في المنافي والسجون والمعتقلات، وكل ذلك من جور سلفكم ، لا لذنب جنوه نحو المملكة ، فانهم اخلص المخلصين للعرش والوطن ،ولكن لأنهم تمسكوا بحقهم وحافظوا على ايمانهم الذي استمدوه من الرسل مباشرة وانتم تريدونهم على الانكار ؟

القيصر : كل ذلك اعلمه يا أبتي ، وانني آسف أن أخلف من ظلم رعيته ونفى اتقياءها لا لذنب جنوه بل تلبية لاحقاد قديمة (ورثها عن اسلافه)

القس : وهل بعد هذا يسوغ لجلالتكم يا سيدي ان تخطبوا فتاة هي على ايمان اولئك المضطهدين الذين يملأون سجونكم ومعتقلاتكم ؟ ولكن طالما شرّفتم داري بهذه الزيارة الملكية الكريمة فلي شرط واحد ابسطه امام جلالتكم اذا نفذتموه الآن وفي المستقبل وافقتكم منذ الآن .

القيصر : ثق أيها الأب الجليل انك اصبحت الآن عمي ، بل في مقام والدي.

القس : شرطي الوحيد ان تبقى بنيتي تيودورة متمسكة بعقيدتها ، فلا تحملوها بنفوذكم الملكي على تبديلها ، وان تطلقوا لها الحرية في خدمة امتها وكنيستها ما زالتا مخلصتين للعرش والوطن .

القيصر : اوافق على شرطك هذ وأقسم لك بشرفي العسكري وكرامتي الملكية ،وهذا ختمي (يدفع اليه الختم كناية عن موافقته التامة على الشرط ثم ينحني القيصر فيقبل يد القسيس) .

القيصر ايضاً : اتفقنا الآن يا عماه فضع يدك الكريمة على رأسي وبارك تاجي ، فانت

الآن في موضع أبي ، وارجو ان اكون عند حسن ظنك مدى الأيام .

القس : باركك الله وأجزل لك كل خير وأيد ملكك مدى الأيام .

القيصر : (يخرج خاتماً ثميناً من حقيبته ويدفعه للقسيس) وهذا خاتم الخطبة يا ابت ، فهل لنا الآن أن نقدمه لتيودورة ؟ .

القائد يوحنا : ليأمر سيدي القسيس بحضور كريمته تيودورة .

القائد ميخائيل : وستصبح عما قليل قيصرة بيزنطية العظيمة .

القس : ارجو ان تمهلوني قليلا لأرتب الامر (يغيب القسيس في الدار) .

القيصر : انني مسرور ايها القائدان العزيزان بهذه النتيجة الصالحة ، وانني اعد امام الله وامامكما ان تكون هذه الخطوبة فاتحة خير بين كنيستكم والبيت المالك ، وستكون تيودورة العزيزة قيصرة بيزنطية ، لها الحقوق الكاملة المنصوص عليها في الدستور البيزنطي للقيصرات .

القائد يوحنا : (ينحني امام القيصر) ارفع أخلص التهاني القلبية لجلالتكم بهذه المناسبة السعيدة ، وارجو الله ان تكون فاتحة خير المملكة .

القائد ميخائيل : (ينحني أمام القيصر ارفع أجل التهاني لكم يا سيدي القيصر العظيم ، وليرفع الله شأن ملككم ، ويفرحكم بحياتكم مدى الأيام ، وليصن البلاد .

القيصر : (يغطي عينيه بيديه هنيهة ثم يرفعهما) انني اشعر بالسعادة تملأ نفسي ، وكأني ربحت الف معركة في هذه اللحظة السعيدة .

القائد يوحنا : هذه أعظم معركة في حياة الانسان يا صاحب الجلالة ، وطالما

وفقك الله فيها فأنه سيوفقك في جميع المعارك .

(يفتح الباب فيدخل القسيس)

القسيس : ليتفضل القائدان المحبوبان الى الغرفة الثانية ويأتيا بتيودورة ويحضراها أمامنا لتلبس خاتم خطوبتها (يخرج القائدان)

القيصر : حسبي ان أشكركم لجعلكم اياي ابناً لكم مع العزيزة تيودورة .

القس : اشكر الله يا بني على هذه النتيجة، ولي ثقة عظمى بصدقك وشرف نفسك ولي أمل عظيم بأن زواجك من بنيتي تيودورة سيكون فاتحة خير بين الكنيسة السريانية والبلاط البيزنطي الرفيع العماد.

القيصر : انما هذا شعوري يا أبت فكن مطمئناً أننا سنعمل على الصلح ، واعطاء كل ذي حق حقه، كما آمل أن يعود الاساقفة الى كراسيهم بعد مدة وجيزة.

القس : ولا حاجة في أن اوصيكم خيراً بتيودورة ، فانها الابنة الوحيدة لهذه الشيخوخة الفانية وقد وضعت في نفسها كنزاً ثميناً من المكارم والفضائل والآداب والتقوى ، حتى اصبحت بفضل الله ينبوعاً لكل مكرمة .

القيصر : اعلم كل ذلك يا أبت وهذا عهدي بها ، وثقوا انكم كنتم تحوزون ابنة وحيدة ولكن الآن اصبحتم تحوزون ابنين قيصراً وقيصرة ، والأعظم من ذلك هما ابنان محبان لكم وخادمان امينان لهذه الشيخوخة الوقورة .

(يفتح الباب على مصراعيه ويدخل القائدان ووراءهما تيودورة ووراءها

صديقتاها اليصابات ومريم بحلل بهية ، والشيخة ام تيودورة ووالدا ووالدتا اليصابات ومريم)

القيصر : (ينهض ويقف في منتصف الغرفة فيتقدم القسيس ويمسك بيد ابنته تيودورة ، ويضع خاتم الخطوبة باصبعها ويقول) هذا خاتم خطوبتك يا بنيتي تيودورة اقبليه من يد أبيك الشيخ ، واظنك تصدقين ان حلمي فيك قد تم الآن .

(ثم يتقدم الى القيصر ويضع باصبعه خاتم الخطوبة ويقبله) اهنأ يا ابني يوسطنيان بخطبتك المباركة هذه الى العزيزة تيودورة .
(يقدمها الى بعضها فيتصافحان ويجلسان بجانب بعضها البعض)

القيصر : اشكر الله على هذه النتيجة الصالحة ، واصرح امامكم ايها الحاضرون ان هذه اسعد لحظة في حياتي ، وارجو الله ان يسعدكم جميعاً في حياتكم ، واشكر ابي الشيخ الفاضل كما ارحب بتيودورة العزيزة زوجة وقيصرة لبيزنطية العظمى .

القائد يوحنا : اعتقد ان كل شيء قد انتهى ، ولا مجال للتأخير ، فالسرادق الملكي جاهز ويجب ان نحتفل الآن بصورة بسيطة بزفاف سيدنا صاحب الجلالة ، واطلب من أبي القسيس الفاضل ان يعقد لهما الآن .

القائد مخائيل : نحن موافقون على رأي العزيز يوحنا ، وعند وصولنا الى القسطنطينية ستحتفل البلاد من اقصاها الى اقصاها بهذا الزفاف الملكي الكريم ثم بتتويج العزيزة تيودورة قيصرة لبيزنطية العظمى الى جانب القيصر العظيم .

القيصر : اذا سمح سيدي الشيخ الكريم ووافقت العزيزة تيودورة على ذلك .

القس : وافقت سابقاً واوافق الآن ايضاً ، فليكن زفافكما مباركاً ياولدي

العزيزين (يسحب الستار ويسمع فصل موسيقي ابتهاجاً بالعرس الملكي ثم يفتح فاذا بنا امام القيصر والقيصرة)

ينهض الجميع وينحنون امامهما عدا القسيس والشيخة الأم)

مريم : (تتقدم من تيودورة) اهنئك يا عزيزتي تيودورة ، بل ارفع عواطفي القلبية اليك يا سيدتي القيصرة المعظمة .

اليصابات : (وهي تبكي من شدة الفرح) اقبلي تهاني اختك الصغرى اليصابات ، وايمنحك الله كل خير وبركة ، وليحفظ قرينك العظيم

تيودورة : (تقبل يد ابيها وامها) اشكر الله يا والدي الكريم لأنه حفظ شيخوختكما الكريمة الى هذه اللحظة السعيدة ، كما انني أعد ان اكون زوجة مخلصة لسيدي القيصر العظيم .

القيصر : انني مغتبط ياتيودورة العزيزة بأن اكون زوجاً وفياً لك ، كما اشكر قائدي الامينين يوحنا وميخائيل لنجاحهما في هذه المهمة الخطيرة .

تيودورة : ارى ان يكافأ القائدان الامينان على امانتهما وفضلهما في هذا الزواج الملكي ، كما أرى ان تكافأ صديقتاي العزيزتان اليصابات ومريم ، وافيد سيدي القيصر انني لا استطيع الانفصال عن الصديقتين العزيزتين .

القيصر : هذا اول أمر ملكي تصدره الملكة تيودورة فليكن مطاعاً ، وارى ان نخطب الصديقة مريم للقائد العزيز يوحنا ، والصديقة اليصابات للقائد المحبوب مخائيل .

(ينهض القيصر فيمسك بيد مريم ويوحنا ويجعلهما يتصافحان — ثم بيد اليصابات ومخائيل فيتصافحان وينحني الاربعة امام القيصر)

القس : انها لفرصة سعيدة ان نكمل فرحنا ايضاً بزفاف القائدين العزيزين من صديقتي تيودورة .

القيصر : اذاً ليتفضل الأب المحترم ويعقد لهم ، فقد تمت الافراح .

يسدل الستار فتصدح الموسيقى

المشهد الثالث

القيصرة البارة (٥٢٨ ـ ٥٣٥)

(تظهر غرفة نظيفة منسقة هي غرفة القيصرة الخاصة ، ويرى القيصر جالساً يتحدث الى القيصرة

القيصر : اذا اراحنا الله من الحروب الخارجية والفتن الداخلية ، يجب ان نعود الى اصلاح الأمور وتصفية المشكلات جميعها .

القيصرة : لي الثقة بالله انه سيريح قلبك يا يوسطنيان ، كما ارجوه تعالى ان يؤتيك نصراً مبيناً في جميع الميادين .

القيصر : طالما تقواك وفضائلك احالت بلاطي الأرضي الى فردوس سماوي سيأتيني النصر لا محالة .

القيصرة : ارغب اليك يا عزيزي يوسطنيان بعدان يريحك الله من كل المشكلات ان تهتم بالدرجة الاولى بنشر العدل والحق في سائر اطراف مملكتك الواسعة صانها الله من كل مكروه ، لان العدل أساس الملك ، وانت تنظر الى تاريخ الممالك الجائرة كيف زالت من هذا الوجود

فان نحن اردنا الفوز والنصر لمملكتنا هذه يجب سلوك هذا الطريق.

القيصر : هذا اعظم همي يا تيودورة ، ولي أمل انني سأصله باذن الله .

القيصرة : من العدل يا سيدي ان تعجّل بتسوية الأمور المعلقـــة الخاصة بالمنفيين من البطاركة والأساقفـة وغيرهم ولا سيما اولئك الذين ظامهم الظالمون سابقاً ، وأنا آسفة لأن كثيرين منهم قضوا نحبهم في السجون والمعتقلات ، وكانوا ابرياء ، ولا زال ابرياء آخرون يعانون المرائر ، ويوشكون ان يرحلوا الى الأبدية شأن رفاقهم

القيصر : لا بد قد اطلعت يا تيودورة على الصك الذي وقعته بيدي يوم تبوئي العرش ، ان أكون حامياً ومدافعاً عن تعاليم المجمع .

القيصرة : او تخفى عنك يا سيدي أسباب انعقاد ذلك المجمع الجائر ، ألم تكن أسباب سياسية بحتة ؟ ألم يجتمع نتيجة اضعف مرقيان وحاجتـه الى تأييد ملوك الغرب ، ألم تقرأ الشيء الكثير عن دهـــاء تلك الراهبة التي حانت نذرها وقلبت وجه تاريخ المملكة رأساً على عقب؛

القيصر : بلى ... بلى ... كل ذلك أعلمه يا تيودورة ، ولكن ...

القيصرة : ولكن ماذا ؟ انت مضطر لتأييد الدسائس والظلم والطغيان ، الأمور التي اقترفها الاسلاف السابقون ؟

القيصر : انني وعدتك يا تيودورة ، كما وعدت وتعهدت أمام أبيك الفاضل ان اناصرك على كل شيء يريح ضميرك ويرفع الحيف عن ابناء قومك وسأبر بجميع عهودي .

القيصرة : اشكر عطفك يا سيدي وأرجو الله ان يعضدك على كل خير ، كما ارجو ان ترفـع الحيف عن جميـــع المظلومين ، وتساوي بين ابناء رعيتك .

القيصر : سيتم كل شيء باذن الله ورضاك ، فكوني مسرورة ، فهاتي نتيجة دراساتك الواسعة في ادارة الممالك ، وتربية النشء ونشر الخير والرفاهية في البلاد فأنني بحاجة الى ذلك لاطالعه هذه الليلة .

القيصرة : (تدفع اليه مخطوطة) هـذا ما استطعت اعداده يا سيدي ، وهو مستمد من تعاليم الفلاسفة القدماء من غربيين وشرقيين ، وسأعد لكم دراسات أخرى قد تستفيد منها في العمل .

القيصر : بارك الله في جهودك ايتها العزيزة ، وصان الله ملكاً يزينه تقواك ، وتعضده حكمتك البالغة .

القيصرة : اشكر عطفك يا سيدي وارجو أن أكون دائماً عند حسن ظنك وهل لي الآن ان ابسط أمامك قضية تقلقني جداً ؟

القيصر : ابسطي ما شئت ان تبسطي فكلي اذن صاغية .

القيصرة : علمتم يا سيدي أمر معظم الاساقفـة المنفيين عن كراسيهم من سادة قومي ، ومن رعاة كنيستي ، هذه الكنيسة التي تمثلها الآن تيودورة في بلاط بزنطية العظيم ، وعلمتم أن معظمهم قضى نحبه في في المعتقلات والسجون . الا أن هناك كثيرين أيضاً لازالوا على قيد الحياة في المنافي الشاقة وهناك اسقفان قديسان احدهما مارا مطران آمـــد ، والثاني ايسيدورس مطران قنسرين يتجرعان غصص الآلام في البطراء ، فهل لسيدي ان يأمر باطلاق سراحهما ؟

القيصر : قد أمرنا منذ هذه اللحظة بذلك (يدعو احدى الوصيفات) تعالي يا بنيتي وادعي لنا كاتم الأسرار اسحق (تخرج الوصيفة) .

القيصرة : أطال الله بقاء سيدي القيصر. وأعلمكم ان المطران مارا لديه شقيقتان هما مرتا وشموني ، وكلتاهما صديقتان لي قديتان ، وقد تلقيت منذ بضعة ايام رسالة من مرتا تدعو لكم بطول الحياة والمملكة بالعز والتأييد ، وتطلب اعادة النظر في أمر أخيها ورفيقه وكتابه الاربعة الشمامسة .

(يفتح الباب فيدخل كاتم الاسرار اسحق وينحني امام القيصر)

اسحق : نعم يا سيدي القيصر ، اني بانتظار الاوامر الملكية السامية .

القيصر : اكتب رسالة الى قائد الحامية في مدينة البطراء ، ومره ان يطلق سراح الاسقفين مارا وايسيدورس والكتاب الاربعة وشقيقتي الاسقف مارا ، وكلهم منذ هذه اللحظة طليقون ، ليعد الاسقفان الى كرسيهما او يسكنا حيث شاءا

اسحق : ينحني امام القيصر سمعاً وطاعة يا سيدي المبجل (يخرج) .

القيصر : هل بقي لديك شيء يا تيودورة ؟

القيصرة : (تبتسم بهدوء وحشمة) لدي اشياء واشياء كثيرة ، واعتقد ان سيدي سيطلق يدي في كل أمر يعود الى الخير والمصلحة العامة .

القيصر : بكل تأكيد ، فمنذ اللحظة التي وضع على ناصيتك الكريمة تاج الملك ، لك الحرية المطلقة في أي عمل يعود الى الخير والمصلحة العامة ، ولا سيما المصالح الخاصة بالكنيسة التي انجبتك (يتوقف عن الكلام ثم يتابع) وغرست في قلبك الكبير كل معاني النبل والفضيلة ، انني احترمها ، لأنها الشجرة الصالحة التي اثمرت هذه الثمرة الصالحة ،

القيصرة : اشكر عطفكم السامي ، ولا شك ان ابناء كنيستي هم ابناؤكم ومن

المخلصين للعرش ، وقد ظهر اخلاصهم للحكومات التي يعيشون في ظلها اينما كانوا وحيثما حلوا وأملي ألا تتركوهم بعيدين عن حضرتكم وهم قوة لا يستهان بها وأنتم تعلمون المآسي التي تعاقبت عليهم منذ عشرين سنة الى الآن ، وليكن عهدكم السعيد عهد خير وسلام على جميع ابناء المملكة .

القيصر : هذه رغبتي يا تيودورة ، وسأصدر منشوراً ملكياً عاماً ادعو فيه الجميع الى الاتحاد ، ونبذ الحزازات المذهبية البغيضة ، وبعد ذلك اذا تم كل شيء سيعود كل أسقف الى كرسيه .

القيصرة : وماذا تقولون بشأن هذا العدد الكبير الذي يربي على الخمسمائة شخص من بطريرك وأسقف وقسيس ووجيه وكلهم من آباء كنيستي وابنائها ، الا يجب العطف عليهم الى أن تسوى قضاياهم تسوية عادلة .

القيصر : يعلم الله اني اعطف عليهم جميعاً ، ولكن أنت تعلمين قوة تلك الاحزاب الخبيثة ، كيف تدبر المكائد للعرش ، وهي وان كانت خفية الآن ، الا انها ستثير العاصفة ضدنا اذا اطلقنا سراحهم قبل تسوية الامور ، وعلى كل حال لك أن تساعديهم بالطريقة التي ترغبين فيها .

القيصرة : سأبذل جهدي في الحدب عليهم وسأخدمهم بيدي ، وارجو ألا تكون التسوية على حساب هضم حقوقهم ولو حدث شيء من ذلك ستكون الطامة أعظم . لأنهم لا يبيعون حريتهم بأي ثمن كان وهم سيدافعون عن ايمانهم بكل قواهم مهما كانت التضحيات عظيمة وقد بلوتم تحملهم الآلام وشدة بأسهم ، وأخشى ياسيدي ان يحدث بعد مدة ما لم يكن بالحسبان .

القيصر : سأبذل أقصى جهودي في حفظ حقوقهم وصون كرامتهم ، والآن دعيني لأخرج فالمجلس الحربي سيجتمع بعد نصف ساعة ، ولدينا أمور عسكرية هامة يجب بحثها ، وربما سنقضي الساعات الطويلة في الحديث (يخرج القيصر) .

تيودورة : (وحدها) اشكر الله الذي قيض للكنيسة هذه الفرصة الثمينة وسأكون خادمة أمينة لك يا كنيسة المسيح الحقيقية ، وانتم أيها الآباء السجناء المظلومون ستكون ابنتكم تيودورة مخلصة لمبادئكم القوية ، وستقدم لكم كل عناية وخدمة حتى يظهر الملأ حقكم الصريح وترفع عن هذا الوجود ظلامتكم .

(يفتح الباب على القيصرة فتدخل إحدى الوصيفات ووراءها سيدتان)

القيصرة : اهلاً وسهلاً بالعزيزتين اليصابات ومريم .

اليصابات ومريم : اسعد الله أيامك يا صاحبة الجلالة .

القيصرة : كنت بحاجة الى حضوركما لنتباحث في قضية الآباء الموقوفين فان يوسطنيان لا يستطيع اطلاق سراحهم قبل تسوية الأمور تسوية سامية ، لأنه يخشى الأحزاب السياسية أن تحدث له مشاكل في الدولة ان هو أمر بأطلاقهم .

اليصابات : علمت عطف سيدي القيصر على الآباء ، ولديه الحق في التريث .

مريم : ولكن لا نريد تسوية مجحفة بحقوقنا ، فالآلام التي تحملها الآباء في هذه الفترة المظلمة ، هي كافية ان تبرهن على حقهم .

القيصرة : هذا أمر مفروغ منه أيتها العزيزة ، وقد حدثت القيصر في الموضوع ، واكدت له أن الآباء لا يرغبون في حياة يدفعون ثمنها

حريتهم وكرامتهم وصحة عقيدتهم ، ونحن الآن ينبغي ان نوفر لهم كل وسائل الراحة ، لكي نقوم بشيء من واجبنا الديني من جهة ، ونعزيهم في جهادهم وصبرهم من جهة أخرى .

مريم : اذاً ما هو رأيك في توفير الراحة الممكنة لهم إبان محنتهم هذه ؟

القيصرة : جمعتهم كلهم في القصر هنا ومنذ بضعة أيام أخرج اليهم صباحاً ، وبعد تأدية الصلاة وسماع القداس ، أراقب بنفسي فطورهم — ومعظمهم لا يذوقون الخبز حتى العصر — وأقدم الماء بيدي للضعفاء والشيوخ منهم ، واوصي الخدم بالحرص على راحتهم وتنظيف غرفهم وغسل ملابسهم ، واعطائهم الفرصة الكافية للراحة ، ثم اعود اليهم مساء قبل حلول الظلام فافتقدهم وازورهم زيارة طويلة ، وأحياناً أغسل أقدام الشيوخ بيدي وانشفها بالمنديل وكل ذلك في سبيل تعزيتهم وقياماً بالواجب الذي اخذته على عاتقي .

اليصابات : بارك الله فيك يا سيدتي القيصرة المعظمة ، فمثلك تكون البنات الوفيات .

مريم : وزادك الله عظمة وبهجة وحرسك بعنايته الآلهية سنداً للقطيع المضطهد .

القيصرة : أشير عليكما ان تشتركا معي في هذا الخير ، لا لأنني قاصرة عن تأدية الواجب بنفسي ، ولكن لتكون لكما الفرصة لإظهار الوفاء الواجب للكنيسة التي ارهقها الاعداء ، وهي بريئة من كل شائبة .

اليصابات : سمعاً وطاعة يا سيدتي القيصرة ، ولك الف شكر على هذا العطف السامي ولنا السرور مريم وانا أن نريح جلالتك فنأخذ عنك هذا

العمل ، فلتزرهم مريم صباحاً وتقدم لهم الخدمات اللازمة بنفسها وازورهم انا مساء وافتقد احوالهم من سائر الوجوه .

القيصرة : وماذا تتركان لتيودورة أيتها العزيزتان ؟

مريم : نترك لسيدتنا القيصرة المعظمة الاشراف على خدمتنا ، وابداء الملاحظات في توفير الراحه لهؤلاء الآباء القديسين .

اليصابات : بل نترك لسيدتنا ان تدعو لنا ولهم بنهاية هذه الضيقة العظمى .

القيصرة : (تضع يديها على عينيها ثم ترفعها) لستما أيتها العزيزتان امام (القيصرة) بل انتما الآن بجانب اخت لكما ، ولنكون نحن الثلاث بنات وفيات مخلصات لمبادىء هؤلاء الآباء الاماثل ومثلهم العليا .

مريم : نرجو ان نكون عند حسن ظنك يا تيودورة العزيزة ، ولنا الشرف الرفيع ان نأخذ نحن الخدمة اليدوية تحت أشراف جلالتك .

(تدخل احدى الوصيفات)

الوصيفة : في الباب راهبان غريبان يريدان زيارتك يا سيدتي .

القيصرة : ليدخلا يا بنيتي .

(يدخل راهبان شابان عليهما علائم السفر والتعب ، وهما يوحنا بن افتونيا ويوحنا الآمدي المؤرخ (الافسسي)

القيصرة : ارحب بكما أيها الابوان الفاضلان، ولي السرور ان اتبارك بدعائكما

ابن افتونيا : لنا السرور أن نمثل بين يدي جلالتك أيتها القيصرة المعظمة ، فأنت حصن الكنيسة وسورها وملاذها ـ بعد الله ـ في هذا الضيق.

القيصرة : على الرحب والسعة ، وهل لنا ان نسمع منكما بعض الاخبار ؟

الافسسي : لدينا أخبار كثيرة نبسطها امام جلالتك ولا نبغي غير اطلاعك عليها فقط لتتخذي الحيطة لها اذا امكن.

القيصرة : تفضلا ، فكلي اذن صاغية اليكما ، هاتان الاختان هما أيضاً من قطيعي المحبوب .

ابن افتونيا : كلما اشتد الضيق والاضطهاد ، اشتد الايمان والتمسك بأهداب الدين ، وعند الملمات تظهر قوة الكنيسة وتتجلى بطولتها المعذبة ، وأوكد لقيصرتنا المعظمة ان آباء الكنيسة وابناءها الآن هم احسن حالاً من أي وقت مضى ،وان امتلأت السجون والمعتقلات منهم في بلاط بيزنطية وجبالها .

الافسسي : ذلك صحيح أيتها القيصرة المعظمة ، فنحن الرهبان وأن شردنا المضطهدون ، فنحن الآن امضى عزيمة ، واقوى مراساً من أي عهد كان ، وعوض اجتماعنا في دير واحد أسسنا ديورة كثيرة في تفرقنا وغرسنا غرسات عظيمة في المدن والقرى والجبال وهي الآن في طريق الايناع .

القيصرة : بارك الله في روحيكما التقيتين ، ولنا العزاء كل العزاء في شجاعتكما .

اليصابات : هل لنا أن نعرف من أين قدم الابوان الجليلان ؟

ابن افتونيا : بكل تأكيد أيتها الأبنة الفاضلة ، فالداعي (يشير الى نفسه) الراهب يوحنا بن افتونيا ، خادم دير قنسرين الآن ، والاخوة يسموني رئيساً للدير ومعلماً لهم .

مريم : (تضع يدها على جبينها كمن يذكر شيئاً نسيه) نعم ... نعم ... أعرف الأب يوحنا حق المعرفة يا سيدتي القيصرة ، وقد رأيته يوم كان طفلاً ، ومنذ ذلك اليوم لم اعرف ماذا حل به .

القيصرة : رأيته يا مريم ؟ وأين ؟

مريم : (تهرع نحو الراهب يوحنا وتقبل كتفه ويده) نعم أعرفه ، انه ابن عمتي افتونيا المحبوبة تلك الامرأة الفاضلة التقية .

القيصرة : ابن عمتك ؟ أنها لصدفة عجيبة يا مريم ولي السرور أن أهنئك بهذه المناسبة السعيدة .

مريم : أجل يا سيدتي هو ابن عمتي افتونيا ، عمتي الكبرى ، واعلمني أهلي ان عمتي تزوجت من قائد في مدينة الرها ، ثم توفي القائد زوجها بعد ان انجب عدة اولاد صالحين وأصغرهم يوحنا ويوم ذهبت عمتي لتفي بنذرها يوحنا الرب مرّت الينا في منبج بطريقها الى دير مارتومافي سلوقيا ، وكان الأب يوحنا صغيراً ، وفي اليوم الثاني قبل الفجر سارا في طريقهما وفي الصباح بكينا انا واخوتي عليهما .

القيصرة : صدفة غريبة جداً ، تابعي يا مريم .

مريم : وعلمت بعد ذلك ان الطفل يوحنا قبل في الدير بعد جهد جهيد لصغر سنه ، وانقطعت عنا اخباره الى بعد وفاة عمتي ، فعلمنا انه تابع طريقه الرهبانية ، ونبغ في العلوم والآداب اليونانية . ونصب رئيساً لدير مار توما في سلوقيا رغماً عن حداثته ، ثم اصابت الزوبعة ديره في اضطهاد سلفكم القيصر يوسطينوس خال سيدنا القيصر المعظم منذ ست عشرة سنة ، فخرج برهبانه الى الجزيرة واختار له على ضفة الفرات موضعاً يعرف بقنسرين وابتنى هناك ديراً عظيماً ، وأنشأ فيه مدرسة عالية لتدريس الفلسفة والآداب السريانية واليونانية ، وعلوم الرياضيات ، والآلهيات ، وهو الآن رئيس الدير الوحيد .

القيصرة : عظيم ورائع جداً ، وقد سمعنا في منبج خبر افتونيا يوم كنا صغاراً فمرحباً بك أيها الأب يوحنا وعلى الرحب والسعة ، وبارك الله في الدوحة الكريمة التي انبتتك ، وليكن ذكرها للبركة والخلود .

ابن افتونيا : انني مسرور جداً ان التقي بابنة خالي مريم في حضرة صاحبة الجلالة ، وهو فأل سعيد ، وأنني لواثق من همة صاحبة الجلالة في الذود عن حياض الكنيسة وهذا هو السبب في زيارتي هذه لجلالتك .

القيصرة : تعلمون أيها الأب الجليل ان ابنتكم تيودورة لن تألو جهداً في سبيل انقاذ الوضع واعادة المياه الى مجاريها ، وعلمت ان القيصر انفذ منشوراً الى سائر الجهات يدعو فيه للسلام ، واعتقد ان سيدنا مار سويريوس سيكون هنا بعد فترة قصيرة .

ابن افتونيا : ان سيدنا مار سويريوس بحر العلوم والفضائل ، اذا قـــدم الى العاصمة سيكون في قدومه خير عظيم للكنيسة ، ولا اعتقده يتنازل عن شيء مما قررته المجامع الثلاثة المقدسة .

القيصرة : هذا أملنـــا في قداسته ، ولا شك انه أمل الكنيسة الباسم وحصنها الحصين .

اليصابات : بقي ان نعرف شيئاً عن الأب (تشير الى يوحنا الافسسي) .

الافسسي : ان هـذا البائس (يشير الى نفسه) من رهبان دير مار يوحنا الغوطي في شمال آمد ، وقد تلقنت دروس الرهبانية في ذلك الدير وشرّدنا المضطهدون من ديرنا منذ بضع سنوات ، ومنذ ذلك الحين اجول بين الأديار وأسجل أهم الحوادث عنها ، ووددت الآن زيارة القيصرة المعظمة لأبارك فيها همتها العالية ، وعنايتها الفائقـة بآبائنا الذين ابعدتهـم يد الجور والاضطهاد عن كراسيهم ومراعيهم ،

وسيكون لجلالتها فصول ممتعة في التاريخ الذي اعده الآن ، وسيبقى ذكر اعمالها الباهرة خالداً مدى الأدهار بين المخلصين للكنيسة المقدسة .

القيصرة : اشكر لطفك أيها الأب الجليل فان ابنتكم تيودورة لا تستحق ان يتناول تاريخ الكنيسة اعمالها الضعيفة بقليل او كثير لأنها تشعر ان للكنيسة ديونا كثيرة عليها ، ولن تستطيع وفاءها وإن عملت العجائب في هذا الحقل المقدس .

الافسسي : لست أغالي أيتها القيصرة المباركة اذا قلت انك سند القطيع الصغير بعد الله ، فلولا جهودك لشرد اباؤنا في كل واد ، ولقضى كثيرون منهم تحت أيدي المجرمين الظالمين الذين اذاقوهم مر العذاب ، الا أن قلبك المحب واخلاصك العجيب وحدبك على راحتهم ، كل ذلك صانهم من تلك الايدي القاسية ، وان التاريخ سيفاخر ان يسجل لك هذه المآثر الخالدة بمداد الشكر والأعجاب .

القيصرة : أرغب أيها الأبوان الجليلان ان تمكثا عندنا للاستشارة ، ويقيني اذا عرف القيصر بوجودكما سيشير الى ابقائكما هنا .

ابن افتونيا : نشكر عطفك أيتها القيصرة المبجلة ، وأرجو ان تسمحي لي بالسفر لأن الدير بحاجة الى خدمتي الضعيفة ، واولئك الرهبان الصغار ينتظرون عودتي ، وان لم أعد اليهم اخشى ان تبددهم الأيدي هنا وهناك بعد ان بذلت اتعاباً لا توصف في جمعهم الى الحظيرة واعدادهم جنوداً للمسيح .

الافسسي : واما انا يا سيدتي القيصرة ، فأرغب أن أشارك اخواني الرهبان آلامهم واتعابهم ، فأشجع من هو بحاجة الى التشجيع وأحمل على

منكبي الضعيفين من رأيت فيه ضعفاً أو ألماً ، وفوق ذلك أريد ان أكمل التاريخ الذي سيحوي أخبار هؤلاء الرهبان ، وأسجل ما أراه في اديرتهم وصوامعهم ، وأعتقد ان عملي هذا سيكون فيه فائدة عظمى للكنيسة ، وسيدتي القيصرة تحرص على كل شيء يفيد الكنيسة .

القيصرة : ذلك بكل تأكيد أيها الأب الجليل ولكن رغبتي في ابقائكما هي للغاية نفسها، ومع هذا لكما الخيار الآن في الذهاب ، الا اني أرجو ان تعودا اذا قيضت لكما الظروف وعشتما .

ابن افتونيا : نسأل الله ان يعطيك عمراً طويلاً أيتها القيصرة المعظمة ،ونحن نعمل في هذا الحقل سواء هنا أو في أية منطقة أخرى ، فحقل الرب هو العالم كله ، وحيث ان الرب اعطانا هذا الحقل يجب علينا العمل فيه حتى المساء .

القيصرة : لكما كل الحرية في الذهاب ، وارجو ان تصليا الى المسيح لكي يعضدنا في هذه الخدمة المقدسة ، وأرجو ان تبقيا هنا في القصر حتى المساء لأرسل مع كل منكما محافظين من جنودي المخلصين الى مسافة بعيدة عن المدينة خشية ان يعرفكما أحد .

(الراهبان يودعان القيصرة وتنحني مريم أمام الراهب ابن افتونيا وتطلب اليه ان يبارك دارها وزوجها واولادها).

مريم : انك ستذهب الآن يا ابن عمتي العزيز ومن يدري هل سأراك بعد الآن ام لا فأرجو ان تبارك داري وزوجي واولادي .

يوحنا : اسأل الله ان يبارككم جميعاً يا أبنة خالي العزيزة ، وارجو أن لا تمنعي سفري فقد ابطأت كثيراً في هذه المدينة ، والواجب يدعوني

أن أسرع في السفر .

مريم : ليكن الله معك يا ابن افتونيا المحبوب، واشركني ووالدي وزوجي واولادي بالصلاة الى جانب عمتي المحبوبة افتونيا .

القيصرة : اشركانا أيها الأبوان الجليلان بالدعاء والصلاة ، وليسهل الرب طريقكما وليكن حارساً لجهادكما .

الافسسي : وليبارك الله أيتها القيصرة المكرمة ، وليصن زوجك القيصر العظيم لاحقاق الحق وازهاق الباطل .

(يستعد الراهبان للخروج ثم يخرجان)

القيصرة واليصابات ومريم : ليكن المسيح معكما ، اذهبا بسلام .

(الجميع كأنهن فقدن شيئاً ثميناً ، ومريم تبكي)

مريم : يعلم الله كم انا متألمة لهذا الاتفاق العجيب ، فهل كنت في حلم لذيذ في رؤية ابن عمتي افتونيا ؟ منذ أمد بعيد انقطعت عني اخباره وأخبار أخوته ، ولم اكن اتوقع ان أراه في هذه اللحظة فيطير من بين يدي كما تطير الحمامة من يد الصياد .

القيصرة : خففي عنك أيتها العزيزة مريم ، فهنيئاً لك أن تنجب عمتك رجلاً مثل هذا يتفرغ لخدمة الله والكنيسة ، واؤكد لك انني سررت به كأني رأيت أبي وأخي ، ولا ادري أية قوة روحية تنبثق منه ومن رفيقه الآخر ، حقاً انهما لراهبان عجيبان وأملي أن يكون لهما صيت بعيد في تاريخ الكنيسة .

اليصابات : بكل تأكيد لأن النعمة التي فيهما تترجم ذلك ، واعلمي يا مريم ان أسم عمتك افتونيا الجليلة سينادى به حيث يذكر ابنها البار ، وهذا فخر عظيم .

القيصرة : لتدع أمر الراهبين رافقتها السلامة ، ولنعد الى موضوعنا الأول واذهب ثلاثتنا هـذا المساء لزيارة الآباء ولنشترك في خدمتهم وتعزيتهم ، ومنذ صباح غد لتقم كل منا بواجبها .

مريم : اتسمح سيدتنا تيودورة بذهابنا الآن لخدمة الآباء ولتبقى هنا ريثما نعود بعد فترة الخدمة .

القيصرة : اذهبا ، وبارك الله فيكما (تخرجان وتبقى القيصرة وحدها في الغرفة) (يقرع الباب تدخل احدى الوصيفات وتسلم الى القيصرة رسالة مختومة) (تنظر الى الرسالة بحذر ثم تفضها) يا الهي ، أنها رسالة من سيدي من سيدي مارسويريوس ، ولا بد أن قداسته وصلته رسالة القيصر وسأرى ماذا يريد .

تقرأ الرسالة

رسالة مار سويريوس

ابنتي المباركة بالرب القيصرة تيودورة :

نعمة لك وسلام من الله ابينـا والرب يسوع المسيح . اكتب اليك يا تيودورة وقلبي يغلي بالنعمة ، وارجو الله الذي منحك قوة روحه القدوس الثابتة فيك منذ البدء ، ان يهبك كل قوة لتكوني مصباحا وهاجاً بالنور لكنيسة المسيح التي يحاول الظالمون اطفاء نورها ، ولكن ليعلم اولئك المشاقون أن ذلك النور الوهاج سيبقى ساطعاً ما زال الحق ساطعاً في سماء الحياة المثلى .

تلقيت رسالة من القيصر ، وهـو يدعو الى الاتحاد ، ولكن كيف انصاع لنداء مصدره قلوب عكرها الشر وسكنها الدهاء وهذه الكلمات وان كانت مختومة بختمه الملكي المكرم الا أنها صادرة من اولئك الذين يريدون لبيعة

المسيح شراً ووقيعة ، وقد حاولوا ان يمزجوا السم في الدسم ، وان يخفوا نور الحق بظلام الباطل ، ولكن سويريوس اليقـــظ يعرف كل ذلك ، ولن ينقاد الى الرياء .

هم يريدون الاتحاد لا على غرار الحق والكتاب الآلهـي ، بل على غرار القوة البشرية غير ان قوة الله ستهتك رياءهم، وستظهر للملأ انهم يكذبون . بل انهم يريدون اخضاعنا للباطل باسم « الاتحاد » فكوني على يقين يا تيودورة ، انه لن يكون اتحاد على أساس البطل والضلال وإلا أنهـم بالكبرياء والعناد سأحضر الى العاصمة وستكون هذه آخر محاولة اقوم بها في سبيل ما يسمونه « الاتحاد » ولكن اذا رأيت تمسكهم بالباطل لا زال قوياً سأعود الى وكري وستبقى بيعة المسيح المقدسة متمسكة بالحق مهما كلفها الأمر من الضيق والعنف وسيسجل التاريخ ابيزنطيا الظالمة هـذه المآسي السوداء في احلك صفحاته ، وستقول الأجيال القادمة ـ عند اطلاعها على الحقيقة ـ كلمتهـــا الفاصلة في هذه المآسي .

ابنتي تيودورة ، آه لو تعلمين الآلام الكثيرة الـتي تجتاح أباك سويريوس لو علمت الاحزان التي قاساها منذ عشرين سنة والى الآن ، لعلمت مقدار الظلم الذي احاط بهذا القطيع المضطهد ، فأنت تعلمين أين اساقفتي واين كهنتي بل أين ابنائي ، الذين اذاقهـم الجور البيزنطي كل لون من الوان العذاب ، ولعلمت ان أباك سويريوس بعدهذا كله لن ينصاع للباطل،ولن تلين قناته في الدفاع عن الحق،

وانا احمد الله الذي قيّض لنا دوحة عظيمة في حديقة هذه الحياة ، لكي تأوي طيور السماء تحت ظلها ، وهذه الدوحة هي انت ، فبارك الله فيك وزادك عظمة ورفعة ، واعلمي يا بنيتي ان بيزنطية ليس لهـا قطرة واحـدة في دمائك الطاهرة ، ولا ذرة واحدة في كيانك الملكي المعظم ، بل أنت منا والينا يا ربيبة

هيكل الله يا سليلة الكهنوت المقدس ، لذلك اسألك بأسم الرب يسوع المسيح ان تبسطي ظلالك الوارف على بني أمك ، هؤلاء الأبناء المحبوبون الذين ارضعتهم أمك من البانها الطاهرة ، ورباهم أبوك في هـــذا البيت العظيم العريق بالنبل والشجاعة والشرف ، فصوني العهد يا تيودورة العزيزة ، وأنت التي لم تفضلي اطايب الملك على ذكر كنيستك المحبوبة فأنت تشابهين دانيال واعظم تقوى واخلاصاً من اولاد حنانيا .

سأحضر الى القسطنطينية بعد فترة قصيرة ، وسوف اراك فيفرح بك قلبي ، كما يفرح قلب الأب بأبنته المحبوبة ، وسأريك كيف يجب ان تعالج قضية صديقي وزميلي انتيموس ، ولي ثقةبالله ان انوار الحق ستشرق في قلبه وسيعود الى الحظيرة غير وجل ولا هياب ، وسيكون مستعداً لاحتمال الآلام نظيري .

قدمي سلامي ودعائي لزوجك القيصر العظيم ، ادعو لكما جميعاً بالتوفيق والنجاح ولجلالة القيصر بالنصر ولدولته بالعز والظفر .

المضطهـــد

سويريـــوس

القيصرة : (تقبل الرسالة بأيمان وخشوع) .

لله درك يا سيدي مار سويريوس ما اقسى جهادك وما أعظم آلامك ، ولكن ثق ان الرب يسوع قد أعد لك مكافأة واكليلاً مثل رسوله بولس (تتوقف عن الكلام وتضع يدها على عينيها ثم تتابع)

انها لرسالة مفرحة ومؤلمة بآن واحد ، انها مفرحة لأن سيدي سويريوس سيبارك العاصمة بزيارته وستراه عيناي الضعيفتان ، وتحوز تلك الأمنية الغالية التي طالما تمنتها نفسي بشوق روحي

عميق وهي مؤلمة ، لأن اتعاباً كثيرة وآلاماً لا تحصى تنتظر هذا الرجل الرسولي ، ولكن المسيح سيمنحه قـــوة للانتصار على البطل والآلام .

(يفتح الباب فتدخل اليصابات ومريم)

القيصرة : اهلاً بكما يا عزيزتي ، اظنكما تمتعتما بعمل الخير وتعزية الآباء في ضيقتهم .

اليصابات : نعم يا سيدتي القيصرة ، وكم كان سرورهم عظيماً عندما دخلنا فعرضنا نفسينا للخدمة ، واذكر ان احد الآبا قال ، ليكن ذكر اعمالكما للخير والبركة مثل تيودورة العجيبة .

تيودورة : ليس لنا فضل في ذلك أيتها العزيزتان ، فانما نقضي بعض حق آبائنا الأفاضل وعواميد بيعة الله المضطهدة .

مريم : لقد انشرح صدرنا لأن سيدتنا المعظمة اتاحت لنا هذه الفرصة السعيدة للاشتراك بهذه الخدمة المقدسة.

تيودورة : سنشترك بهذه الخدمة ما زال فينا رمق من الحياة ، الى ان ينتهي كل شيء ويذهب الآباء الى كراسيهم والرهبان الى ديورتهم وابشركما بفرح عظيم .

اليصابات : في جبينك الملكي الوضاء الف بشرى وبشرى بل أنت يا سيدتي العظيمة بشرى الخير والسلام .

تيودورة : أنها بشرى عظيمة ، فبعـــد فترة قصيرة سيصل سيدنا ما سويريوس الى العاصمة . وسيكون لنا الحظ السعيد برؤيته ونيل بركته الرسولية .

مريم : سيدنا سويريوس بطريقـه الآن الى العاصمة ؟ وكيف علمت بذلك يا سيدتي ؟ انها لفرصة سعيدة .

تيودورة : بعدخروجكما حالاًتلقيت رسالةضافية عن قداسته فخذي واقرأيها لأسمعها مرة أخرى .

مريم : (تقرأ الرسالة سراً وتسلمها الى اليصابات .)

اليصابات : ايدم الله عزك يا سيدتي ولننتظر ذلك اليوم السعيد .

يسدل الستـار

المشهد الرابـع

البطريرك مار سويريوس في العاصمة (٥٣٥)

المنظر الاول - مقابلة القيصر

(تظهر غرفة القيصر الخاصة ، ويشاهد القيصر جالساً الى مار سويريوس وهما يتحدثان) .

القيصر : أننا نرحب بكم يا صاحب القداسة ، ونرجو لكم إقامـة طيبة في ظهرانينا ، ونأمل أن يكون خــير عظيم للكنيسة جمعاء في زيارتـكم هذه .

سويريوس : اشكر عطفكم أيها القيصر العظيم ، ولا غرو فقد عرفنا شعوركم النبيل نحو كنيسة المسيح ، واؤكد لجلالتكم أن رسالتـكم الملكية السامية أثرت في القلوب تأثيراً عظيماً واسمحوا لي يا صاحب الجلالة

ان اصرح لكم ان الذين يريدون تقييد أفكارنا واستسلامنا الى آراء الضلال بالقوة لن يكون لهم نجاح .

القيصر : القوة للحق يا سيدي البطريرك المبجل ، ولي ثقة بعلمكم الواسع وفضيلتكم السامية لأنكم لم تحيدوا عن الحق قيد شعرة واحدة .

سويريوس : عش الى الابد أيها القيصر العظيم ، انني أدافع عن حق الانجيل منذ احنيت كتفي لنيره المقدس ، ولا ادري هل تذكرون خطبي يوم جئت القسطنطينية منذ سبع وعشرين سنة بمثابة راهب للدفاع عن حق الايمان . وكنت يومئذ في عنفوان الشباب ، فأثرت تلك الخطب المستقاة من روح الكتاب الالهي في قلوب رجال البلاط .

القيصر : اذكر ذلك يا سيدي البطريرك القديس ، وقد كنت احد المعجبين بتلك الخطب الجليلة ولا زلت اذكر فصاحتكم المنقطعة النظير وانا آمل ان تكون تلك الفصاحة لا زالت متألقة لتتمتع بها بيعة الله المقدسة ، وغداً عند اجتماعنا بأساقفة القسطنطينية ، أرجو من قداستكم ان تعملوا جهدكم لتفاهم معهم لنتعاون على وضع الحد لهذه المآسي .

سويريوس : انني سأعمل كل جهدي بمساعدتكم لوضع الحد للمآسي التي ذاق مرارتها أبناء كنيستي واساقفتها ، ذلك في المنافي المتقلات ، وانا في مقدمة الجميع في غربة مؤلمة ، وفي سجن ضيق ، ولكن لا يمكن ان نبدل شعرة واحدة من الايمان لقاء راحة بسيطة وقتية وأننا ايها القيصر المعظم نفضل الموت على انكار ايمان الآباء القديسين المستمد من روح كتاب الله .

القيصر : انا أعلم شجاعتكم وتمسككم بمبادئكم تمسكاً مطلقاً ، وأعلم الضيقات

التي قاسيتموها وتقاسونها في هذا السبيل ، وانا معجب بهـــذه الشجاعة المنقطعـة النظير ، وأرغب أن يحتفظ بـــكم بلاط بيزنطية للملمـات . .

سويريوس : لم ندافع يا سيدي القيصر المعظم عن « مبادئنا » نحن بل دافعنا وندافع عن مبادىء ايمان واضحة وضع اسسها آباء قديسون في المجامع الثلاثة المسكونية ، وليست خاصة بنا ، بل هي مبادىء المسيحية العامـــة .

القيصر : لست من اللاهوتيين يا سيدي البطريرك المعظم ، ولكنني رجـل نلت تربية عسكرية منذ نعومـة اظفاري ، لذلك لن اتعرض لمـا يسمى بالمبادىء الأولى بالمسيحية ، ويكفيني أن أطلب لقداستكم بضرورة التفاهم مع اساقفة القسطنطينية لترتاح الكنيسة ، وتستتب الأمور ، وتستقر البلاد واني لطويل الأمل بحكمتكم البالغة وروح الله الساكنة فيكم .

سويريوس : ثقوا يا سيدي القيصر ، أني لن أحيد عما توحيه الي حكمـة الله وسيكون لي شأن بل شؤون مع أساقفة القسطنطينية الظالمين ، ولا سيما الشيوخ منهم اولئك الذين اوغروا صدر خالكم وسلفـكم يوسطينوس على الاساقفة السريانيين فمثل بهـم شر التمثيل ، ولا ابغي من ذلك اثرة أو انتقاماً لأنني لا أعرف معـنى الانتقام ، بل اقيس الأمور بالايمان ذلك الايمان الذي صمد فيه هؤلاء الآباء الشجعان ، وضحوا في سبيل نصرته بدماء اعناقهم الطاهرة واذابوا في ناره قلوبهم الكريمة .

القيصر : ان في قولك حقا يا سيدي البطريرك ولكن يجب أن ننظـر الى الامام لا الى الوراء .

سويريوس : اني أنظر دائماً الى الأمام ،وجلالتكم تقدرون موقفي كبطريرك وحام لمباديء استلمتها نقية من الآباء القديسين ، فهل في مقدوري انكار ذلك ؟

القيصر : لا أريدكم على الانكار يا سيدي البطريرك المعظم ، بل أريدكم أن تقودوا الحملة ضد الشر وتغلبوا الشر بالخير طبقاً لتعاليم الفادي يسوع المسيح ورسله القديسين .

سويريوس : كل ذلك نصب عيني يا عزيزي القيصر ، وأن اعلنت حرباً انما اعلنها ضد الشر ، واني في حرب لا هوادة فيها ضد هذا العدو الالدود والنصرة لي في النهاية ، وان شمت الشامتون .

القيصر : هذا أملي بكم وهذه ثقتي في هذا الجلال القدسي ، ولولا خوفي من الخصوم السياسيين لكان لي غير هذا الشأن ، وانتم تعرفون يا سيدي دقة موقفي .

سويريوس : لا شك ان موقفكم دقيق أيها القيصر المحبوب ، ولكن اذا وزنتم الأمور بميزان العدل والحق والايمان ، بل اذا وضعتموها على محك تعاليم سيدنا المسيح ، الا تجدون ان كفة الشر قد رجحت عند اولئك القوم الذين اقاموا الدنيا واقعدوها في سبيل غاياتهم الباطلة وعجرفتهم الكاذبة ؟

القيصر : ذلك كله صحيح يا سيدي القديس ، ولكن هي الظروف القاسية التي ورثت اعباءها الشريرة بحكم القيصرية ، وأنتم تعلمون ان خالي وسلفي يوسطينوس لم يثبت ملكه الا بتلك التدابير القاسية التي اتخذها ضدكم ، بينما انتم أبرياء من كل شيء ينسب اليكم .

سويريوس : نعم ... نعم ... يا ولدي القيصر ، ان خالكم ثبت ملكه وبنى عظمته

على جماجم آبائنا واساقفتنا المضطهدين ولولا ذلك لما صمت له الغرب المجرم الذي يريد السيطرة التامة على مرافق كنيسة المسيح شرقاً وغرباً ، ولكن المسيح لهم بالمرصاد .

(يصمت البطريرك قليلاً ثم يتابع قوله)

كأن البارحة كانت تلك المآسي التي مثلها ظلم خالكم على مسرح مذبح المسيح ، وطبعاً تذكرون ذلك ، اساقفة يهانون ، ورؤساء اساقفة يجلدون ، وتحتقر رئاسة الاسقفية بيد مسيحية ، ويعتدي الذين يدعون المسيحية على اساقفة قديسين علماء ، خدموا الانجيل خدمات مثلى ، اشباه فيلكسينوس مطران منبج زميلي المحبوب ، ويوحنا مطران تلا" . ذلك الجندي الباسل ، وغيرهما .. هذه كانت مسيحية بيزنطية الظالمة ، وهذه كانت دروس الغرب في الشرق ... اذاً سقياً لنيرون ، وديوقلطيان وسابور الثاني ، أنهم كانوا أرحم برعاياهم المسيحيين من هؤلاء القياصرة الذين يخدعون المسيحية .

القيصر : سرّ عنك . يا سيدي البطريرك ، فسوف يسجل التاريخ قصة جهادكم بأحرف من طيب ، وقد شعرت بكل ذلك فأصدرت منشوري لأضع حداً لهذه المآسي ، ولكن ... ولكن ... لا زال ثعالب الغرب يفسدون الكروم ، الا ان كرم المسيح سيبقى نامياً مورقاً .

(يسدل الستار ليفتح حالاً على المنظر الجديد) .

المنظر الثاني ـ مقابلة صديقه انتيموس

(يفتح الستار فتظهر غرفة يشاهد فيهـــا البطريرك سويريوس وصديقه انتيموس بطريرك القسطنطينية)

انتيموس : اني مغتبط يا رجل الله بالحظوى بلقياكم بعد هذا الغياب الطويل .

سويريوس : نشكر الله على هذا اللقاء .

انتيموس : منذ اللحظة التي عرفت بدخولكم القسطنطينية ، وانتم محفوفون بهذه الهالة الوضاءة من النور والقداسة . ابتهج قلبي ، واتسعت فسحة آمالي ، وعلمت ان روح الله ساكنة فيكم ، ولم تغادركم رغم همذر الجاحدين .

سويريوس : أخي انتيموس ، إن قدومي الى العاصمة هو خاص من أجلكم ، كيف استطاع اولئك الظالمون تبديل فكرتكم نحو الحق ، هل خفتم العقاب والعذاب ؟ لا لعمري ان الذي يرتدي ثوب التضحية ونكران الذات . لا يخشى العقاب ، ولا يخاف العذاب ، وهل طمعتم في مغنم أرضي زائل ؟ لا لعمري انكم أسمى من المغانم الأرضية الزائلة . اذاً ماذا حدا بكم يا عزيزي من تبديل خطتكم الرسولية فانجذبتم وراء اعداء الحق .

انتيموس : لا تمعن في تأنيبي يا صديقي العزيز وزميلي الكريم ، فانتم تعلمون دخائل قلبي منذ كنت طفلاً والى الآن . ولي أن أبسط لكم دخيلة أمري من اذعاني لصوت الذين تسمونهم اعداء الحق .

سويريوس : أرجو أن يكون جوابكم صريحاً مثلما أعهد فيكم من قبل . هل رأيتم شائبة في عقيدة الآباء القديسين اعضاء المجامع الثلاثة المقدسة؟

هل راعتكم كلمة الوحدة في المسيح ، فنسبتم الينا هذر أوطاخي ، أو ضلال الذين يعتقدون بملاشاة قوى المسيح الوحدة الالهية والانسانية ؟ هذا كله بعيد عن تفكيرنا ايها الاخ العزيز فليس لدينا الا كلمة بطرس (انت هو المسيح ابن الله) وعقيدة توما عندما صرخ مؤمناً وقال (ربي والهي) هذا ما نعتقده في المسيح جلّ شأنه ، هل فيه شائبة يا عزيزي ؟

انتيموس : كل ذلك لاشائبة فيه يا صديقي الكريم ، ولم يأت اصحاب (الطمس) شيئاً جديداً بل ارادوا ابتكار مشية جديدة وسطى بين مشيتي نسطور وأوطاخي ، فأضاعوا المشيتين ، ولم يستطيعوا تعلم مشية جديدة قويمة ، هذا ما اعتقده الآن ، الا ان غايتي لم تكن كل هذا ايها الزميل المحبوب ، بل اردت ان اكون همزة الوصل بينكم وبينهم ، لأستطيع التوفيق بين الجانبين ، غير انني اعترف بأخفاق املي امام قداستكم .

سويريوس : انتيموس ، عزيزي انتيموس ، أغائب عنك قول الرب ، «من لم يكن معي فهو علي ؟» أيقدر الانسان ان يكون من جانب الحق والضلال بآن واحد ؟ كلا والف كلا . إما ان تكون من جانب الحق وتنادي فيه في السر والعلانية ، وتضع نفسك للضيق والعقاب والعذاب في سبيل الحق ، بل تمد ذاتك الموت لاجل حق المسيح ، واما أن تنحاز الى الضلال انحيازاً كاملاً فتتبع ابناء الظلمة ، وتنصاع لاتباع الضلال . الا انك والحمد لله اجلّ من ذلك . لانك فهمت الحق منذ نعومة أظفارك ، وهات يدك يا عزيزي وصارحني أكثر من هذا .

انتيموس : قد بلغنا الذروى ياعزيزي سويريوس ، واظنك تسمح لي بالصمت الآن .

سوبرتوس : اسمح لك بالصمت ؟ وهل تحملت اتعاب الطريق واوصاب السفر لأجلس الى رجل صامت وأنا الذي اعرفك ذرب اللسان فصيح العبارة .

انتيموس : طالما ترغبون في صراحة اوضح فاسمعوا يا صديقي العزيز .

سويريوس : انني كلي آذان صاغية اليك يا زميلي الكريم .

انتيموس : انتم تعلمون اعجابي بكيرلس ، واحترامي لتعاليمه القويمة ، ولم اكن ادري ان المشاقين شوهوا جمالها ، ومزجوا فيها تعاليم غريبة ابعدتها عن الحق والواقع ، وكان من سوء حظي ان اطلعت على النسخ المشوهة ، وفيها تعاليم مزورة ادت بي الى الهوة السحيقة . ولو اطلعت على الأصل الحقيقي لتلك النسخ لما حلت في هـذه الكارثة ، ولكن منـذ بضعة أيام فقط أطلعت على كتابكم النفيس (فيلوليتس) فعلمت كل شيء وتأكدت ان يداً اثيمة سطت على تعاليم ذلك الرجل الرسولي فشوهتها ، وابعدتها عمـا أراده مؤلفها القديس .

سويريوس : اعلم يا عزيزي انتيموس ، أن تعاليـم سيدنا كيرلس ، وان حاولوا تشويهها ، الا انهم باؤوا بفشل ذريع ، وهذا ما انتبهت اليـه في اللحظة التي قرأت تلك النسخ المشوهة وعلمت ما فيه من الكذب والغش والتزوير ، لا لأني كنت احوز في مصر نسخاً أصليـة لمؤلفات كيرلس وحسب ، بل لأن التشويه كان واضحاً فهتك كذبهم وتزويرهم .

انتيموس : ذلك تستطيعه أنت يا سيدي لاضطلاعك باللغـة اليونانية من جهة وبكتب الآباء الرسوليين الذين كانوا سنداً لكيرلس من جهة ثانية

ولدراساتك الواسعة في الكتاب المقدس من جهة ثالثة ، واني لغير سويريوس العظيم ان يعرف ذلك .

سويريوس : اؤكد لك يا عزيزي ، أن شعوري الفجائي بذلك التزوير ، كان سبباً في البحث والاستقصاء ، والبحث والاستقصاء كانا اساسين عظيمين توصلي الى الحقيقة ، وهكذا قمت عند اللحظة الأولى اجمع أقدم النسخ واصحّها من مؤلفات القديس كيرلس ، وعندما قابلتها بنصوص النسخ المشوهة علمت كل شيء ، واردت أن أشرك الكثيرين من الذين خدعوا بهذا التزوير .

انثيموس : سقيا لقلبك الكبير ومواهبك النادرة المنقطعة النظير ، وقد فرغت من قراءة مؤلفك الجليل ، فعلمت طول باعهم بالتزوير والكذب والخداع ، وطول باعكم باظهار الحق وازهاق الباطل ، ولو قيض لكيرلس ان يستيقظ من غفوته الابدية لقبّل جبينك الرسولي الوضاء مغتبطاً شاكراً .

سويريوس : اذاً أين وصلنا الآن يا عزيزي انثيموس ؟ أبقيت لديك شكوك في حق الكنيسة ؟

انثيموس : زالت كل الشكوك عند اطلاعي على بنات افكارك السامية ، ومعرفتي الاكيدة من تعاليم القديس كيرلس وانقشع الظلام من حولي عندما سطع علي نور طلعتك الرسولية ، فاقبلني يا عزيزي اخاً وزميلاً وهيا كلانا نستعد للآلام والملمات ، بل نستعد لخوض المعركة الحامية في سبيل الحق .

سويريوس : هات يدك يا عزيزي (يتصافحان ثم يتعانقان) وغداً سنحضر في مجلس انثيمس وستكون لنا شؤون مع اولئك الذين ، اعمتهم

العطرسة ، وهناك سأرى فصاحتك يا بطل المسيح الجديد .

انتيموس : مهلاً يا صديقي ، فعندما تبدو الشمس الطالعة تختفي الحباحب ، ولي أن أسمع فصاحة سيدي سويريوس في ذلك الاجتماع التاريخي الذي ستذكره الأجيال القادمة ، وكن على ثقة انني سأكون من جانب الحق الذي تنادي به وان كلفني ذلك حياتي الزمنية فسأربح الحياة الابدية .

المنظر الثالث ـ الاجتماع برعاية القيصر

(يفتح الستار فيظهر القيصر جالساً في الوسط والى جانبه الأيمن البطريركان سويريوس وانتيموس والى يساره اسقفان غربيان)

القيصر : أناشدكم أيها الآباء الاجلاء بأسم ربنا يسوع المسيح ان تطرحوا الحزازات السابقة وتتحدوا وتؤلفوا جبهة ضد الشر والانقسام ، والا لاضطررنا بسلطاننا الملكي الى اصدار الأوامر التي نراها صالحة لوضع الحد لهذه المآسي .

أسقف غربي : ليس لدينا أيها القيصر العظيم صلاحية في البحث والمناقشة في أمور تهم العالم المسيحي بأسره ، ونحن نفر قليل ، ولكن لدينا أمر جازم اصدره اولوا الأمر في المراجع الكنسية العليا بوجوب املاء الشروط من جانبنا ، وبوجوب الخضوع التام والطاعة المطلقة من الجانب الآخر .

القيصر : (بعنف) هذا أمر عجيب ! ، فهل تجدون امامكم تلاميذ مدرسة صغار ليأمروا فيطيعوا ؟

الاسقف الغربي الآخر : ليس لدينا الا هذه الصلاحية أيها القيصر العظيم .

القيصر : آسف جداً على الوقت ان يضيع في اجتماع بأناس لا يشعرون ماهو حق المسيح وما هي تعاليمه الآلهية .

سويريوس : ان حق المسيح أيها القيصر المعظم يأمرنا بالخضوع للحق ، لا للقوة ، ويأمرنا أيضاً بالتخلي عن العجرفة البشرية ، والا لكنا بعيدين عن روح المسيح جلت عظمته .

القيصر : هذا ما اقصده من كلامي معكم أيها الآباء الكرام ، والا لفقدنا زمام الحق وتهنا في مهاوي الضلال .

الاسقف الغربي : يجب ان يعترف الجانب الآخر بقداسة المجمع ، والا لما كان هناك محل لأي اتحاد ، وليكن الاعتراف بدون بحث او اعتراض ويكفي أن ننظر الى ما ورد في رسالة (ليون) المسماة (الطمس) .

سويريوس : نحن يا صاحب الجلالة لا نعترف بذلك المجمع التعسفي ، ولا بالرسالة المشار اليها ، ولنعد الى تعاليم الآباء الاولين المستقاة من صلب كتاب الله مباشرة .

القيصر : لا أظن ان هناك فائدة من الكلام يا سيدي البطريرك ، ويظهر ان الغرب متمسك بباطله تمسككم بحقكم .

الاسقف الغربي : لنعد الى تعاليم الآباء الاولين ، ومنهم القديس كيرلس الاسكندري وهو يفسر لنا كل شيء جاء به المجمع والطمس معا ، وان كان سابقا لهما .

سويريوس : ليبرز حضرة الاسقف مؤلفات كيرلس ، فنحن على اتم استعداد للخضوع لها اذا كانت صحيحة ونزيهة .

القيصر : هات أيها السيد الاسقف مؤلفات كيرلس طالما تريدون جعلها أساساً للنقاش والتفاهم .

الاسقف الغربي: وان كنـــا لا نريد النقاش ، والتفاهم الا على أساس خضوع الجانب الآخر خضوعاً مطلقاً ، الا اننـا اكرامنا لجلالة القيصر المعظم نقدم مؤلفات كيراس كأساس لاظهار الحق (يدفع ببضعة مجلدات للقيصر فتوضع على منضدة ويجتمع الاساقفة لرؤيتها).

سويريوس : لينظر جلالة القيصر المعظم الى تاريخ هـذه النسخ من مؤلفات كيراس، ليعلم جلالته هل هي نسخ صحيحة خالية من التزوير والتشويه؟

القيصر : هذا حق أيها الآباء الاجلاء فلننظر اليهـــا (الاساقفة والقيصر ينظرون تاريخ النسخ) .

سويريوس : ليسألهم جلالة القيصر ، هل يوجد لديهم أو لدى غيرهم أقدم عهداً من هذه النسخ ؟

القيصر : ايوجد لديكم أقدم منها ؟

الغربيان : لا يوجد أقدم منها مطلقاً لا عندنا ولا عنـد غيرنا ، ولا نعتقد انه يوجد في أي بلد من بلاد الله أقدم تاريخاً من هـــذه النسخ لمؤلفـات كيراس .

سويريوس : (يخرج من حقيبته عـدة نسخ ويقدمها للقيصر) لينظر سيدي القيصر المعظم أيوجد أقدم من تلك ام لا ؟ فان سيدنا كيراس ذهب الى ربه منذ اثنين وتسعين عاماً ، وتاريخ النسخ التي ارفعها لجلالتكم تربى على الخمسة والتسعين عاماً ، أي أنهـا نسخت قبل وفاة مؤلفها بثلاث سنوات .

الغربيان : (ينظران الى النسخ شزراً وهما صامتان) .

القيصر : انها النسخ الصحيحة اداً ، ويجب أن نقابل بينهـا وبين النسخ

الأولى وبين تاريخها .

سويريوس : (يفتح إحدى الصفحات) لينظر جلالة القيصر المعظم ويرى توقيع كيراس نفسه فيها ومصادقته على صحتها . وليتأمل جلالته هل بقي شك بصحة النسخ التي ارفعها أمام جلالته ؟

القيصر : عاشت يداك يا صاحب القداسة ،ولله درّك ،انها النسخ الصحيحة.

سويريوس : ليأمر سيدي القيصر العظيم بأحضار تواقيع الآباء لنقابل بين توقيع كيراس في المجمع الثالث ، وبين توقيعه في هذه النسخ ، وفوق هذا هل سمع سيدي القيصر المعظم بما كتبته هاتان اليدان في تصحيح المؤلفات المنسوبة الى كيراس والى التشويه الذي اجراه عليها أصحاب الغايات الخسيسة ؟

القيصر : (يأمر أحد الحجاب بجلب سجلات المجامع القديمة) ـ احضر لنا يا بني تلك السجلات .

انتيموس : الى الآن كنت محتفظاً بصمتي يا سيدي القيصر المعظم ، ان هذه كانت محنتي يوم اطلعت على النسخ المزورة لمؤلفات كيراس ، ولكن لما وصلني كتاب السيد البطريرك سويريوس انقشع الظلام عن عيني ، وعدت الى الهدى ، وتأكدت لدي صحة اقواله عند اطلاعي على هذه المخطوطات الصحيحة فكلها تؤيد ما يعتقده سيدي سويريوس وهذه شهادتي أيها القيصر العظيم

القيصر : (وقد أحضر الحاجب سجلات المجامع فيقابل بين التوقيعين لكيراس) أنه توقيعه الصريح الصحيح . فحقاً ان الايمان بفم البطريرك سويريوس .

الغربيان : (يخرجان غضبانين) يجب ان نترك القاعة بعد الآن .

(يسدل الستار)

المنظر الرابع

(تظهر غرفة ويشاهد القديس سويريوس جالساً الى تيودورة وصديقتيها)

تيودورة : ما اسعد حظي يا سيدي البطريرك القديس بلقاء قداستكم ، وما كان اشوقي الى هذه اللحظات السعيدة لأنني منذ صباي فتحت عيني فرأيت أنوار قداستكم تسطع على بيعة الله ، والغيوم السوداء تريد أن تحجبها ، الا أنها تزيد سطوعا واشراقاً كلما أمعن اعداء الحق بابعادها ، وأقدم لقداستكم صديقتيّ ابنتيكم اليصابات ومريم (تنحنيان أمام البطريرك) .

البطريرك : زادك الله سعادة وهناء يا بنيتي تيودورة ، لأن بيعة الله المرهقة تتفيأ بظلالك الوريقة . وقد بسطت عليها جناحيك البيضاوين . فانما أنت العطف المجسم ، والوفاء المتألق .

تيودورة : أرجو الا تخجلني يا سيدي البطريرك العظيم ، فأنني رهن اشارتكم وأمر كنيسة آبائي وجدودي ، وأنا أضعف من أن يطري ضعفي سيدي ، الذي بذل مهجته الغالية في سبيل المحافظة على قطيعه المحبوب ،

البطريرك : تيودورة ، بنيتي تيودورة ، يوم اضطررت الى الذهاب الى مصر لم أكن اتوقع هذا الثبات العظيم في أساقفة الكنيسة وأبنائها ، وكم احييت الليالي في الصلاة لله لكي يسعف هذا القطيع المرهق لتحمل الآلام والاضطهاد ، وأشكر الله ، فقد سمع دعائي ، فجعل من كل رجل قوة جبارة تهزأ بالمصائب والمحن ، وهذه هي السفينة تشق العباب المضطرب وهي سائرة الى ميناء السلام بهدوء وعظمة ولا شك فأن المسيح في وسطها فلن تتزعزع .

تيودورة : لا ادري يا سيدي عما اسفر اجتماعكم اليوم بالقيصر والاساقفة الغربيين .

البطريرك : أسفر عن غطرستهم وكبريائهم ، وثبات الحق كالطود الراسخ ، واني اثني على حكمة جلالة القيصر فقد كان أثناء الاجتماع هادئاً متزناً ، رغم التجاسر الذي أبداه الاسقفان الغربيان .

اليصابات : هل يسمح لي سيدي البطريرك بالكلام ؟

البطريرك : تكلمي يا بنيتي ، فنحن الآن في معرض الكلام .

اليصابات : أطلعنا منذ بضعة أيام على مؤلفكم النفيس (فيلاوليتس) وما كان أشد اعجابنا أنا وابنكم زوجي بنفحات الروح القدس المتموجة على يراعكم السيال ، ولا شك أن هذا المؤلف الثمين سيكون شوكة في عيون اعداء الحق ، اؤلئك الذين شوهوا مؤلفات مار كيرلس الاسكندري .

مريم : وابنكم مريم أيضاً أطلعت على ذلك المؤلف بحضرة سيدتنا القيصرة المعظمة ، وعندي ان هذا المؤلف وحده كاف لفضح مفترياتهم وهتك تزويرهم واكاذيبهم الكثيرة ، وهل تطرقتم في الاجتماع الى هذا الموضوع ؟

البطريرك : ان هذا الموضوع ، كان الموضوع الوحيد الذي دار الحديث عنه في الاجتماع ، لأن اعداء الحق كانوا متمسكين بمؤلفات مشوهة نسبت الى القديس كيرلس ، وظنوا أنهم لا محالة فائزون ولكن الحق سطع فوهن اكاذيبهم ، وتركوا الاجتماع بعد اندحارهم ، ولا سيما أنني احوز نسخاً أصلية من مؤلفات كيرلس ، خطت قبل وفاته ، وقد وقع على صحتها كيرلس نفسه ، وقد قابل جلالة

القيصر بين توقيع كيرلس هذا ، وتوقيعه في سجلات المجمع الذي رأسه كيرلس يوم دان نسطور وحزبه .

تيودورة : يعلم الله شدة سروري عند اطلاعي على مؤلفكم النفيس ، وعلمت انه السهم الوحيد الذي سيصيبهم في الصميم ، وقد أطلعت القيصر عليه فشاركني الاعجاب والثناء على مقدرتكم الأدبية والفلسفية ، فتأكد لديه ما نحن عليه من الحق ، وما الخصوم عليه من الضلال فسلمت بذلك يا سيدي البطريرك سويريوس ، ابقاك الله سنداً للبيعة وعماداً للحق ، ونوراً للهدى ومترعيات بهذه النفثات السامية .

البطريرك : انني يا بنياتي سأترك اليوم العاصمة ، وأعود الى مصر ، وسنمضي في الجهاد الى النهاية وقد تحدثت لكن بالقوة الروحية الكامنة في آباء الكنيسة وأبنائها ونحن نأسف أن نبعد عن أوطاننا ، وان نسجن في سبيل الحق . ولن ننفى لأجل كلمة الله ، وكل هذه الأمور مدعاة للفخر والاعجاب [illegible] تعطر الأرض بنفحات جهادنا ، بل ستبارك العصور القادمة أخبار البطولة الروحية التي ابداها ويبديها أبناء قومنا .

تيودورة : أعتقد أن تلك القوة الروحية منبثقة من روح سيدنا مار سويريوس هذه الروح القوية المتجلية في رسائله الكريمة وخطبه الساحرة .

البطريرك : لا يا بنيتي انما هي منبثقة من الايمان الساكن في تلك القلوب الكبيرة وأرجو الله ان يؤيد هذه القوة بنعمة روحه القدوس .

تيودورة : كنا نتمنى يا سيدي أن تقيموا في ظهرانينا مدة طويلة ، ولكن هي ارادتكم التي ستحرمنا التمتع بمرآكم الرسولي .

البطريرك : لم الاقامة يا بنيتي تيودورة في بلد جل أهله منحرفون الى هوة

سحيقة من الضلال وأبناء النور والهدى في السجون والمعتقلات ، ولا يمكن الآن ان يطلق سراحهم لأن جلالة القيصر موقفه دقيق جداً .

تيودورة : يحاول القيصر ذلك يا سيدي ، ولكنكم تعرفون الأسباب كلها ، وقد فهم الحق والحق حرره ، الا أن الأسباب المعروفة لا زالت تقيد يديه .

البطريرك : هذا ما شعرت به يا بنيتي ، وعندي أن جلالته مقتنع تمام الاقتناع بما نحوزه من الحق ، وما يحوزه خصومنا من الضلال .

تيودورة : وقد صرح أمامي مرات كثيرة بأن حق كنيستنا واضح ، وضلال خصومها أيضاً واضح .

البطريرك : بارك الله فيه ، ومنحه نصراً مبيناً على جميع اعدائه .

تيودورة : هل باحثتم القيصر يا سيدي البطريرك بأمر المسجونين لاطلاق سراحهم ؟

البطريرك : باحثته في الموضوع ، الا أنني شعرت بأن جلالته يخشى ثورة سياسية اذا هو أمر باطلاقهم ، وذكر لي أنهم براحة تامة تحت رعايتك .

تيودورة : منذ دخلوا بيتي وقد وفر الله لي الخير والبركة . ولي الفخر أن اكون خادمة أمينة لآبائي ورؤساء كنيستي المضطهدين ، وان ألو جهداً من خدمتهم ورعايتهم وتوفير الراحة اللازمة لهم .

البطريرك : باركك الله يا تيودورة الوفية ، ان وفاءك واخلاصك للكنيسة سيكون مضرب الأمثال في الأجيال القادمة ، وسينادي ببرك

وشهامتك كلما ذكر الجهاد القاسي الذي يخوض غمراته آباء الكنيسة ورعاتها الشجعان ، وسيسجل اسم المغفور له القس يوحنا ابيك في انصع صفحات تاريخ الكنيسة السريانية ، والآن اودعك يا بنيتي داعياً لك بالخير والعمر الطويل والبركة الجزيلة لقاء اتعابك الجمة ، ولطفك العظيم ، وعناياتك الصادقة بهؤلاء الآباء يا تيودورة فاذكري أباك سويريوس وجهاده وآلامه الكثيرة .

تيودورة : (تضع يديها على عينيها وتبكي) ما اشد المي يا سيدي البطريرك ، اذ كيف تغادر ابنتك تيودورة ، ولم ترتو بعد من رؤيتك الرسولية الغالية ، وسواء رأيتك مرة أخرى في الجسد ام لم ارك فذكرك الرسولي في قلبي وطيفك القدسي المحبوب نصب عيني ما دمت في قيد الحياة . ابقاك الله ذخراً للمؤمنين ، يا سند المؤمنين بالرب .

البطريرك : اودعكن يا بناتي امكثن بسلام ، ليبارك الرب اسركن واولادكن الى الأبد (تنحني القيصرة ورفيقاتها فتقبلن يد البطريرك وهن يبكين) .

يسدل الستار

المشهد الخامس

ذهاب القيصر الى حرب البرابرة

(يظهر القيصر جالساً الى القيصرة وهما يتحدثان في أمر ذهابه الى الحرب) .

القيصر : قرر المجلس الحربي يا تيودورة بأن نجرد حملة على برابرة الشمال لأنهم يقلقون المملكة كثيراً ، فما قولك بذلك ؟

القيصرة : انه أمر لا بد منه ياسيدي ، وهذه مدة طويلة يتلاعبون بسكان وقد ضج منهم اولئك البؤساء .

القيصر : وهل لديك خطة مثلى لاقتحام تجمعاتهم البربرية في تلك الجبال ؟

القيصرة : الخطة سهلة يا سيدي ، ولكن يجب ان نحسب حساب بأسهم ، كما يجب ان ننظم لهم احبولة لايقاعهم في الشرك .

القيصر : هاتي الخطة التي تفكرين بها لنستعرضها ونستفيد من البحث فيها .

القيصرة : رأيي يا سيدي القيصر ان تنقسم جيوشنا الى قسمين ، قسم صغير يهاجم البرابرة ويسمح بأن يطوقوه ، وقسم آخر كبير يختفي وراء الجبال والآكام لكي اذا انقض البرابرة على القسم الأول يريدون تطويقه والقضاء عليه فيتركون قلاعهم الجبلية هابطين الى السهول ، ينقض عليهم القسم الاحتياطي ، فيضربهم من الوراء ضربات قاصمة ، بينما يكون القسم الآخر يثخن فيهم الجروح من الأمام .

القيصر : بارك الله في حكمتك يا تيودورة ، ثم ماذا ؟

القيصرة : ثم ماذا ؟ لا ينتهي وقت طويل حتى تكون جيوشنا قد أبادت القسم الأعظم من البرابرة وأسرت القسم الآخر منهم. ولاذ الباقون بالفرار.

القيصر : يعلم الله انك قد ربحت الحرب وانت جالسة يا تيودورة .

القيصرة : الحرب لله يا سيدي القيصر، وليكن الله ناصراً هذه الامبراطورية تحت ظلكم الوارف .

القيصر : (يطرق قليلاً مفكراً) أنت تعامين يا تيودورة قوة تلك الاحزاب الخبيثة، كيف تدبر المكائد للعرش، وأخشى عليك من تلك المكائد.

القيصرة : انا لا أخشى شيئاً يا سيدي وجلالتكم تحيطونني بالمحبة والعطف .

القيصر : ذلك مما أراه واجباً علي ولكن اذا ذهبت غداً لمواجهة الخطر الشمالي أأمن شرهم ؟

القيصرة : لا تخف من شرهم يا سيدي ، فتيودورة يقظة وهيبتكم تحيطها .

القيصر : اذاً سأودعك الآن وغداً صباحاً سأكون في طريقي بفرقي العسكرية لمجابهة البرابرة ، وأنني أطلق يدك في ادارة المملكة وأنا مطمئن .

القيصرة : وماذا تقولون بشأن المعتقلين ، ألا يجب أن نخفف بأساءهم ؟

القيصر : (يدفع اليها كتاباً) هذا كتاب التولية ،فأنت الآن الآمرة المطلقة في كل شيء ، ويوسطنيان لم يبق لديه الا قيادة الجيوش .

القيصرة : (تنهض واقفة) ليكن الله معك ويؤتيك نصراً ، ويعيدك الي سالماً (تنحني الى يده)

(يخرج القيصر وتبقى القيصرة وحدها)

القيصرة : يجب علي أن أحتفظ بالمملكة وأصرف الأمور بحكمة وشجاعة ، فسيدي القيصر يستحق كل خدمة وأخلاص
(تخرج ثلاثة كتب مغلقة ، وتدخل إحدى الوصيفات)

الوصيفة : لتأمر سيدتي القيصرة .

القيصرة : (تدفع اليها الكتب الثلاثة) احتفظي بهذه الكتب ، في هذه الليلة سيرحل القيصر وغداً صباحاً صدّريها الى جهاتها المختصة ، ثم أدعي لي الوزراء الثلاثة .

الوصيفة : سمعاً وطاعة ، ليصن الله سيدي القيصر بذهابه وإيابه .

القيصرة : (تستلقي على كرسي) أسأل الله أن يساعدني على صيانة هذه الوديعة العظمى ، وأكون عند ثقة سيدي القيصر (يفتح الباب فيدخل الوزراء الثلاثة الشيوخ) .

القيصرة : أهلاً بكم يا رجال الحكمة .

احدالوزراء: لتتفضل صاحبة الجلالة بالأمر .

القيصرة : دعوتكم الآن لأفاوضكم في تدبير المملكة في أثناء غياب سيدنا القيصر ، وأرجو ان نكون جميعاً عند حسن ظنه .

الوزير الآخر: لتأمر سيدتنا القيصرة وما علينا الا الطاعة .

القيصرة : نحن مطمئنون من حدودنا الشمالية لأن جلالة القيصر هناك ، واما الحدود الشرقية والجنوبية فيجب ان نصونها صيانة كاملة .

الوزير الثالث: الصيانة بأمر سيدتنا القيصرة .

القيصرة : لتذهب غداً صباحاً ثلاث فرق من الخيالة وفرقتان من المشاة الى الحدود الشرقية خشية أن تتحرك الجيوش الفارسية ضدنا .

الوزير الأول: سآخذ ذلك على عاتقي ، وسأسهر هذه الليلة لتعبئة الجيوش ، وقبل ان تشرق الشمس تكون في طريقها الى تلك الحدود .

القيصرة : ولتذهب فرقتان من المشاة وخمس فرق من الخيالة الى الحدود الجنوبية لمحافظتها من سكان الصحراء .

الوزير الثاني : أرجو أن تأمر سيدتي القيصرة بذهابي معها ، لأنني أحوز صداقة موثوقاً بها مع ملوك غسان .

القيصرة : لك ما تشاء وأعدد ما يلزم في هذه الليلة . (تتوجه نحو الوزير الثالث) وأنت أيها الوزير الجليل ليكن ميدان عملك في المحافظة على الأمن الداخلي .

الوزير الثالث: سمعاً وطاعـــة وسيكون كل شيء هادئاً الى حين عودة سيدنا القيصر سالماً منتصراً .

القيصرة : بارك الله فيكم أيها الوزراء الأجلاء وصان هذه المملكة بعنايته الالهية .
(يخرج الوزراء بعد ان يصافحوا القيصرة)

القيصرة : (تبقى وحدها وهي جالسة على كرسيها) اشكر الله ان كل شيء سيكون على ما يرام .

(يفتح الباب فتدخل اليصابات ومريم)

القيصرة : أهلاً بالعزيزتين ، ما أتى بكما الآن ، هل لديكما خبر جديد ؟

اليصابات : علمنا ان جلالتك وحيدة الآن وأتينا لنسري عنك هذه الوحدة .

القيصرة : اشكركما يا عزيزتيّ ونعم ما فعلتما .

مريم : أسأل الله ان يصون سيدنا القيصر ويعيده سالماً .

القيصرة : شكراً لكما .

اليصابات : هل أناط سيدنا القيصر بعض الصلاحيات الادارية بابن عمه ؟

القيصرة : ان الدستور البيزنطي لا يسمح بذلك، بل انما للقيصرة كل الحقوق الملكية عند غياب القيصر ، والآن تحوز اختكما تيودورة تلك الحقوق كلها .

اليصابات : ذلك ما نعرفه يا سيدتي ،ولكن هل أثرّ عليه اولئك الدساسون ؟

القيصرة : ان يوسطنيان رجل حكيم لن يؤثر عليه الدساسون ، وهو يحافظ على صلب الدستور المحافظة كلها .

مريم : أطال الله حياته ونصر المملكة بشجاعته وحكمته ،وهل أعدّت القيصرة المعظمة العدة للمحافظة على عهد القيصر في اثناء غيابه ؟

القيصرة : نعم يا مريم اعددت كل شيء وقد سارت الجيوش للمحافظة على الحدود الشرقية والجنوبية وكلفت أحد الوزراء الاجلاء للمحافظة على الأمن الداخلي ، فأنني مطمئنة من كل ذلك .

اليصابات : بارك الله فيك . ولا أفشي سراً اذا قلت ان هناك مؤامرة تحاك ضد سيدتي القيصرة ، ويجب ان نحتاط للأمر .

مريم : قد علمت ذلك منذ بضعة أيام قبل رحيل سيدي القيصر .

القيصرة : أنني يا عزيزتي لست أخشى المؤامرات ، فأنني مؤمنة بأن الله سيحفظني اذ انني استسلمت لخدمته وخدمة الناس .

اليصابات : وما هي الحيطة التي اتخذتها جلالة الملكة القيصرة للمحافظة على حياتها ؟

القيصرة : لن اتخذ أية حيطة ، وأقدم على السير في الشوارع وحدي برباطة جأش فالله وحده يصونني .

مريم : نعم ان الله يصونك يا سيدتي ، ولكن يجب أن نحيطك ببعض المخلصين من اعوان الخير .

القيصرة : اعملا ما بدا لكما في ذلك .

اليصابات : ان ذهاب القيصر وترك يوحنا وميخائيل للمحافظة على العاصمة كان في مصلحتنا ، اذ سيتوفر المخصلون لاُحباط كل مؤامرة ضد صاحبة الجلالة .

القيصرة : ان القيصر رجل حكيم وقد علم كل شيء . وهـذا هو السبب في ترك القائدين المحبوبين في العاصمة .

مريم : ولننتظر في صباح غد لقاء سيدنا القيصر فيتلاقى الظافران ، ظفر القيصر باعدائه وظفر القيصرة بحكمتها وأعمالها الجبارة .

القيصرة : حقاً سأكون مغتبطة وسأغسل بيديّ ثياب القيصر الظافر المخضبة بدماء اعدائه الخاسرين .

اليصابات : سقياً لك يا تيودورة العزيزة ومتعك الله سبحانه بأتم السعادة .

مريم : ان لقاء سيدنا القيصر سيكون ثميناً جداً بعد تجشمه الأتعاب في تلك الحرب الضروس .

اليصابات : لتسمح لنا سيدتنا القيصرة في الذهاب الآن وبعد مـدة يسيرة سيحضر يوحنا وميخائيل لخدمتك .

تيودورة : اذهبا بسلام واني مطمئنة وسأنام ملء جفني لارتياح ضميري وانني اسديت المملكة وسوف اسديها خدماً خالصة .

(يسدل الستار)

المشهد السادس

المؤامرة

(تظهر غرفة واسعة وقد جلس في صدرها وزيران وقائدان)
الوزيران فرنسوا وليون ، القائدان يوسطين وجبرائيل)

فرانسوا : ليعلم القائدان الفاضلان أننا اجتمعنا هنا لوضع الحد لأعمال ابنة قسيس منبج .

ليون : أنها لفرصة ثمينة يجب أن ننتهزها للتخلص منها .

يوسطين : نعم أنها لفرصة ثمينة اذا استطعنا التنفيذ .

جبرائيل : ولم لا نستطيع؟ والقيصر في الحدود الشماليه القاصية يحارب البرابرة وابنة قسيس منبج وحدها .

فرنسوا : تعلمون أيها السادة تأثيرها على القيصر حتى أنه أجبرنا لترديد تلك الانشودة البغيضة « يا من صلبت لأجلنا » .

ليون : هذه ليست بمهمة ياسيدي ولكن الأهم ايواؤها اولئك الاساقفة المخالفين للمجمع في قصرها ، والانكى أنها تتظاهر بخدمتهم والعطف عليهم .

يوسطين : ماذا تريدان ايها الوزيران الجليلان أن نعمل الآن ؟

فرنسوا : يجب ان نوحد كلمتنا في سبيل هلاكها .

جبرائيل : وهل تظنون انها بهذه الدرجة من الغباوة فتتيح لنا هذة الفرصة؟

فرنسوا : يجب اقتحام مقصورتها مهما كلف الأمر .

جبرائيل : وكيف ذلك يا سيدي ؟

فرنسوا : الأمر أهون مما تفكرون، لديكم هذه المجموعة من الأسرى البرابرة عدوا باطلاق سراح ثلاثة منهم ان هم اقتحموا مقصورتها وقتلوها.

ليون : انها خطة تحتاج الى دراسة دقيقة والا فالويل لنا من الفشل.

يوسطين : ويجب أن نبتكر حججاً معقولة لأبرازها أمام القيصر اذا عاد سالماً.

فرنسوا : لا أظنه سيعود سالماً وقد بلغنا البارحة ان الجيوش طوقت والبرابرة يصلونها ناراً حامية.

يوسطين : تلك كارثة يا سيدي اذا طوقت الجيوش وانتصر البرابرة، فالقسطنطينية عنهم على قاب قوسين، وهل سيبقى الأمر باغتيال ابنة قسيس منبج؟

جبرائيل : ان ايوسطنيان خططاً حربية بارعة، فاذا سمح بأن تطوقه البرابرة فذلك لحكمة منه وعليه يجب أن نحسب حساب عودته القريبة.

فرنسوا : رحمك الله يا يوسطينوس فما كان شدتك على اولئك المارقين، وهذه معتقلاتك لا زالت مملوءة برؤسائهم وكهنتهم.

ليون : وانت يا يوسطنيان تريد أن تهدم ما بناء خالك العظيم؟ لا لن تستطيع.

يوسطين : أني لا اوافقكما يا سيدي بتجنيكما على القيصر يوسطنيان، فانه ابلغ حكمة وأعظم حنكة من جميع اسلافه.

ليون : اذاً ما لنا وللقيصر وهو كالعصفور بين أيدينا وهذا الدستور المعدل يوجب عليه الذعون الى أرائنا.

فرنسوا : نعم ما لناوله وحاجتنا فقط القضاء على ابنة قسيس منبج بأية طريقة كانت، فهل تسمعون رأيي في كيفية اغتيالها.؟

يوسطين و جبرائيل : قل يا سيدي.

فرنسوا : لدينا راهبة شيخة وهي داهية دهياء في ابتكار الحيل ، وعندي أنها أحسن من يستطيع اغتيال ابنة قسيس منبج .

يوسطين : وكيف ذلك يا سيدي ؟

فرنسوا : نقنعها بالذهاب الى البلاط والتظاهر ان بها حاجة لمقابلة ربيبة سويريوس وتدبير المكيدة للقضاء عليها .

يوسطين : لا يفكرن سيدي ان ابنة قسيس منبج بهذا الغباء ، فتستطيع راهبة محتالة اغتيالها .

جبرائيل : يعلم الله أنها تستطيع قيادة جيش بكامله الى معركة حامية ، فقلبها اشجع من قلب الرجال ، ودهاؤها أوسع من دهاء الحكماء ، وأرى هذا الرأي ضعيفاً .

فرنسوا : وما قولكم ان نرسل اليها أحد الشبان الاقوياء بزي راهب مسكين واذا ما اختلى بها يضرب عنقها .

يوسطين : هذا الرأي أيضاً ضعيف لأنها لن تقابل راهباً لوحدها أيا كان الا اذ عرفته معرفة شخصية ، وهل تعلمون ان في حراستها فرقة كاملة من الجيوش تحت أمرة يوحنا وميخائيل القائدين ؟

فرنسوا : لا يجب ان نفشل أيها السادة والفرصة مؤاتية بغياب القيصر ، فابتكروا لنا طريقة لأهلاكها .

ايون : عندي ان الطريقة الوحيدة هي ان يجازف ثلاثة من السجناء المجرمين الخطرين ويحاولوا اغتيالهـــا بشرط اطلاق سراحهم بعد الاغتيال .

يوسطين : ربما تكون هذه الخطة ناجحة ، لأن المجرم المحكوم عليه بالسجن

المؤبد يعرض نفسه للموت في سبيل حريته وربما يأمل بالفوز .

فرنسوا : اجتمعت البارحة بمدير السجون (لوكوس) وعلمت ان لديه من المجرمين الخطيرين طائفة كبرى ، واذا كلفناه أظنه يقدّم لنا أعظم المجرمين شقاوة وأشدهم بأساً .

يوسطين : لنجرب هذه الطريقة وهي أسلم من غيرها بحيث لا يعرف المجرم من قام بهذه المؤامرة .

جبرائيل : واذا عاد القيصر سالماً لن يعرف من هو المحرّض .

فرنسوا : بشرط ان يقتل المجرمون حالاً بعد الاغتيال .

ايون : ان قتلهم أمر ضروري .

يوسطين : اذا رأيتما ان نشرب كأس الشر حتى الثمالة .

جبرائيل : نعم حتى الثمالة ، فنغتال القيصرة ونقضي على الرجال الثلاثة ، ولتذهب وصايا المسيح في هبوب الزوبعة .

فرنسوا : المسيح يأمرنا يا ولدي ان نحافظ على ايمان المجمع بأية وسيلة كانت بالسجن او النفي أو القتل أو الموت لأي كان ، وهذه أمور مباحة في هذا السبيل .

يوسطين : أرجو أن تسمح لي بالانسحاب من الجلسة .

جبرائيل : وأنا أيضاً لا يطاوعني ضميري على هذه الخطة الجهنمية .

فرنسوا : أنتما مخطئان ياولديّ فأنني أصرّح لكما أننا تلقينا الأوامر الصارمة لتنفيذ الخطة بأي ثمن كان .

يوسطين : وماذا نقول للمسيح غداً يا سيدي ؟

فرنسوا : آمرك بأسم الطاعة ان تنّفذ ومغفورة لك خطاياك .

يوسطين : (ينهض) ارجو ان تسمحوا لي بالانسحاب ، ولن الوّث ضميري في سبيل الأوامر الصارمة (يخرج) .

جبرائيل : (ينهض) وأنا أيضاً لديّ أطفال أحبهم وأخشى أن ينتقم الله مني بأطفالي في سبيل تمثيل أوامر عجز عنها نيرون (يخرج ويبقى الوزيران وحدهما) .

فرنسوا : لتنقلب القسطنطينية كلها وليمت هذان القائدان الجبانان ، يجب ان ننّفذ الخطة باغتيالهما .

ليون : ولنطبِّق الخطة التي ابتكرتها حكمتكم السامية ، وقد نلنا الغفران مقدماً .

فرنسوا : بقي أن نحصل على المجرمين، وأن نعدّ العدة بقتلهم فوراً بعد الاغتيال.

ليون : هذا أمر بسيط سندبره مع مدير السجن ، وأترك القضية على عهدتي .

فرنسوا : بارك الله فيك يا أخي .

ليون : وسأطبّق الخطة تماماً .

(يسدل الستار وبعد هنيهة يفتح)

(ترى القيصرة جالسة في مقصورتها مع صديقتيها مريم واليصابات)

اليصابات : ارجو ان يعود سيدي القيصر سالماً .

تيودورة : في صباح غد سيكون القيصر في العاصمة ، وقد جاءت البشائر بانتصاره واندحار البرابرة .

مريم : الحمد لله لعودة سيدنا القيصر ظافراً .

تيودورة : وأشكر الله أيضاً لأنه لم يحدث في المملكة في أثناء غيابه أي

حادث مؤسف .

اليصابات : ان حكمتك يا سيدتي هي التي صانت المملكة بهذا الهدوء لراحة سيدنا القيصر ، فلا عدمتك بيزنطية قيصرة حكيمة فاضلة .

تيودورة : لا ، لا يعود ذلك الى حكمتي يا عزيزتي ، بل الى توفيق الله .

مريم : توفيق الله اجرة تقواك وصلاحك ، وتفانيك في خير المملكة .

تيودورة : يعلم الله يا عزيزتي أنني مذ شاركت سيدي القيصر خدمته لم أنم ليلة واحدة الا وافتكر في خير المملكة وسلام ابنائها .

اليصابات : هذا أمر مفروغ منه يا سيدتي وقد علم جميع ابناء المملكة ما قمت به من المشاريع الانسانية والأدبية والروحية ، فسقياً لتاريخ بيزنطية الذي سيتعطر بذكرك .

مريم : وكم وفرت لهم الرفاهية الاقتصادية والمالية وتلك القفار قلبتها الى جنات رائعة .

تيودورة : أرجو أن تبدلا هذا الموضوع ، فلم اقض الا بعض الحق بالمملكة .

اليصابات : كل ذلك وهناك من يريد لك السوء حتى في قلب العاصمة .

تيودورة : لست اخشى أي سوء يا عزيزتي ، اذا كان الله معنا فمن علينا .

اليصابات : أنني مطمئنة ، فسيدتي القيصرة في حرز حريز لا تنالها أيدي السوء .

(يفتح الباب فيدخل القائد يوحنا بحذر وهدوء)

يوحنا : أسعدتن مساء .

تيودورة : اسعد الله مساك يا يوحنا ما أتى بك إلينا في هذه الساعة .

يوحنا : (يبتسم) أتى بي شوقي الى التشرف برؤية صاحبة الجلالة تحيط بها صغيرتاها اليصابات ومريم .

تيودورة : تحيط بها صغيرتاها ، بل تجلس اليها أختاها .

اليصابات : هذا شرف عظيم يا سيدتي .

مريم : شرف لا نستحقه .

تيودورة : تيودورة لن تتبدل فهي تلك الأخت التي رأيتماها في البيت والمدرسة والكنيسة والبلاط الملكي ، والأبهة الزمنية ليست الا من قشور الحياة اذا قيست بعظمة الروح الحقيقية .

يوحنا : ذلك حق يا سيدتي القيصرة .

تيودورة : ليس من عادتك يا يوحنا ان تكون قصير العبارة ، فهل في الأفق شيء ؟

يوحنا : لا ... لا ... سوى أني جئت لأهنئك بقدوم سيدي القيصر في صباح غد .

تيودورة : اشكر محبتك يا يوحنا ، ثم ماذا .

يوحنا : ثم ماذا ؟ لا شيء وهل تتراجع سيدتي القيصرة الى الوراء اذا هاجمها جيش عرمرم ؟

تيودورة : لا لا لن تتراجع ، وما معنى ذلك هل هناك جيش سيهاجمني ؟

يوحنا : لا يا سيدتي ، فأنت ارفع من ان يرهبك شيء فاللبوة الرابضة في عرين بيزنطية لن ترهبها الجيوش .

تيودورة : اعتقد يا يوحنا ان في الأفق شيئاً جديداً ، صرح بذلك .

يوحنا : لا شيء له أهميـة يا سيدتي سوى ان ثعالب بيزنطية تريد السطو على كرمنا .

اليصابات : سنحطّم أنيابها .

مريم : وسنكسّر أسنانها .

يوحنا : نعم سنقصم عمودها الفقري .

تيودورة : (تنظر اليهم مشدوهة) بحق القيصر عليك يا يوحنا ماذا ؟

يوحنا : تأكدت يا سيدتي ان ثعالب بيزنطية دبرت مؤامرة خسيسة لأيقاع الشر في جلالتك .

تيودورة : أطال الله عمرك يا يوحنا حسبت حدوث أمر أعظم من ذلك ، فكم من مؤامرة أحبطها الله وكم من دسيسة حيكت في الظلام فهتكتها أنوار الصباح .

يوحنا : وستهتك هذه المؤامرة يا سيدتي أيضاً .

تيودورة : وهل علمتم شيئاً عن المؤامرة ؟

يوحنا : علمت أنهم اتفقوا مع ثلاثة من المجرمين الخطيرين في سجن بيزنطيا الكبير ، ووعدوهم بأطلاق سراحهم ان هم اغتالوا سيدتي القيصرة حرسها الله .

تيودورة : ثلاثة من المجرمين ؟
أنها لمؤامرة فاشلة ، فأبنة قسيس منبج وقيصرة بيزنطية ، ارفع من ان ترهبها مثل هذه المؤامرة الصبيانية .

يوحنا : أجل مؤامرة صبيانية ، ولكن يجب أن نفيد منها بعد احباطها .

تيودورة : وكيف ذلك يا يوحنا ؟

يوحنا : الأمر بسيط يا سيدتي بسيط جداً .

تيودورة : هل فكرت في خطة لأحباطها والأفادة منها . ؟

يوحنا : نعم يا سيدتي ومنذ الظهر والى الآن وميخائيل معي وقد اتفقنا وسننفذ . فقط أرجو أن تحتفظ سيدتي بشجاعتها .

تيودورة : أنني محتفظة بشجاعتي وأعصابي ، فهات الخطة .

يوحنا : لتخرج سيدتي القيصرة الآن من الغرفة (تنهض تيودورة) ولتهتم اليصابات ومريم بترتيب سريرها كأنها نائمة فيه ، ولنخرج كلنا من الغرفة ، وليبق السرير وحده وسيهاجمها المجرمون .

تيودورة : ثم ماذا ؟

يوحنا : ثم (يبتسم) ننقض أنا وميخائيل عليهم كالصاعقة ونبقيهم احياء لكي نأخذ أقرارهم في حبك المؤامرة .

تيودورة : أرجو أن لا يلحقهم سوء .

يوحنا : إلا الأغلال فقط .

(يخرج الجميع من الغرفة يفتح الباب بشدة ، ويدخل ثلاثة من المجرمين الخطيرين مدججين بالسلاح) .

احدالمجرمين: افتحموا السرير فأنها نائمة .

الآخر : أنها نومتك الأخيرة يا تيودورة .

الثالث : وجهّوا الضربات في آن واحد ، وسددوا الضربة الأولى عند الرأس لئلا تستيقظ .

(يرفعون أيديهم لينزلوا الضربات بالسيوف على رأسها)

(يفتح الباب بشدة فيدخل حالاً ميخائيل ويوحنا القائدان وقد شهرا سيفهما).

يوحنا وميخائيل: ويحكم أيها الأنذال اغمدوا السيوف فنحن لكم بالمرصاد .

(تتراخى أيدي المجرمين فتسقط السيوف على الأرض ويهمّون بالفرار) .

(يتقدم ميخائيل ويوحنا وسيفاهما يلتمعان فيقبضان على المجرمين ويكبلانهم

يفتح الباب فتدخل تيودورة وصديقتاها مرتجفات) .

تيودورة : ان شاء الله لم يحدث سوء بكما أيها البطلان المحبوبان .

ميخائيل : لم يحدث سوء يا سيدتي الا لأهل السوء ، فقد كبلوا فكوني مطمئنة وقد فشلت المؤامرة الخسيسة .

الوصيفات : وأشكر الله على نجاة سيدتنا القيصرة .

يوحنا : (يهدد المجرمين) الآن انتهت حياتكم أيها الأشرار .

ميخائيل : اخبرونا عن الذين زجوكم في هذه الورطة ، والا . .

يوحنا : وليعلم اولئك المجرمون ان سيفي القائدين ميخائيل ويوحنا وسيوف افراد الجيش البواسل تحت أمرة سيدتنا القيصرة المعظمة .

ميخائيل : اسحبهم يا يوحنا الى خارج الغرفة لترتاح سيدتنا القيصرة ويزول عنها الرعب ، وبعد ذلك سنكتب اقرارهم .

(يسحبهم يوحنا الى الخارج) .

تيودورة : بارك الله فيكما أيها البطلان المحبوبان، ولتكن أيديكما نصيرة للخير.

يوحنا : لتعش سيدتي القيصرة الى الأبد فلم نؤد الا شيئاً من الواجب .

مريم والوصيفات: (تتقدمان من القيصرة) نشكر الله على سلامتك أيتها القيصرة

المعظمة (ثم تلتفتان الى ميخائيل ويوحنا) وبارك الله فيكما يا رسولي البطولة والشجاعة .

يوحنا : كأننا اقتحمنا جيشاً .

ميخائيل : ثلاثة ثعالب أنقض عليها شبلان ، فهل في ذلك مفخرة ؟

تيودورة : حرسكما الله أيها الشبلان المحبوبان للكوارث والملمات .

يوحنا : تحت ظل سيدنا القيصر .

ميخائيل : وتحت ظل سيدتنا القيصرة .

يسدل الستار

المشهد السابع

١ ـ المنظر الاول ـ وفاة مار سويريوس

(٥٣٨)

(يفتح الستار فترى القيصرة تيودورة في غرفتها تتمشى ذهاباً واياباً وهي تبكي)

تيودورة : واحزناه ... مات سويريوس العظيم ، وانطفأ سراج الارثودكسية وتدحرج تاج السريان ، وحط مجدهم الى الحضيض .. وارحمتاه عليك يا بيعة المسيح المرهقة ... واحسرتاه عليك أيها القطيع الصغير ... هوذا الذئاب الخاطفة حواليك ، والراعي الأمين ذهب الى ما وراء الشفق الباكي وبقية الاساقفة الارثودكسيين في المنافي والسجون ...

(تصمت قليلاً وتغطي عينيها بيديها وتكفكف دموعها) ثم تتابع ، كل ذلك وتيودورة قيصرة عظيمة ، تتمتع بابهة الملك ، وبهاء

السطان ، تيودورة ابنة السريان ، ربيبة المذبح وسليلة الكهنوت، تستريح على عرش المملكه . . . (تتنهد وتكفكف دموعها)ثم تتابع . الا تباً لكل شيء بعدك يا سيدي مار سويريوس، ياحارس الاغنام الوديعة يا من متّ ميتة الشهداء، بعيداً عن كرسيك ، بعيداًعن أهلك وأولادك .

(تصمت قليلاً وتكفكف بقية دموعها) ثم تتابع وهي نخورة .

ولكن،قرّ عينا في قبرك يا سيدي سويريوس الطوباوي، انالمسيح لن يترك أغنامه المحبوبة نهباً للناهبين ،والعوبة للّصوص والعابثين . (تجلس على كرسي بسيط ، وتضع يدها على خدها متوكئة على كفها) وتتابع بلهجة الألم .

لم الملك ولم السلطان ، ولم العرش والتاج والصولجان ، وبيعةالمسيح تقلص ظلها وانطفأ نورها ، وخبا ضياؤها وقد تمتعت بنورالشمس أجيالاً كثيرة . تشتت الاساقفة الارثودكسيون ، ولم يبق منهم الا نفر قليل ، فالبارحة انتقل الى دار الأبدية رأس الرعاة أبونا وسيدنا مار سويريوس ، وقبل مدة وجيزة توما أسقف دارا ، ويوحنا التلي المجاهد ، وانطيوخيا أسقف حلب ، وتوما أسقف دمشق الشام، والبعض الآخر عصفت بهم زوبعة الضلال ،والبعض الآخر ذهبت بهم زوابع أخرى ، ولم يبق الا القليل من رعاة الحق ومعلمي الارثودكسية .

(تغيب عن الرشد فتستلقي على سريرها)

(يفتح الباب ، فتدخل اليصابات ومريم فتشاهدانها على هذه الحالة وتتقدمان منها)

اليصابات : واحسرتاه عليك يا سيدتي تيودورة ما بك ؟ أفيقي ... أفيقي ... سيدتي ... سيدتي ...

مريم : دعيها قليلا فأنها متعبة ، لأحظي عينيها فقد بكت كثيراً قد احمرتا من شدة البكاء .

اليصابات : (لا تلتفت الى مريم) سيدتي ... سيدتي تيودورة ... أفيقي مابك؟

تيودورة : تفتح عينيها قليلاً ثم تغيب) .

مريم : دعيها بحياتك يا اليصابات الا ترين حالها ؟ .

اليصابات : (تجلس على الأرض بجانب الكرسي وتضع رأسها عليه وتبكي) لا بد أن كارثة حلّت يا مريم.

مريم : (تفعل مثل اليصابات) نعم كارثة عظمى والا لما غابت عن الرشد تيودورة الشجاعة .

تيودورة : (تفتح عينيها فترى صديقتيها تبكيان الى جانبها) اواه ... انه لحلم مؤلم ، ما أتى بهما الى هنا في هذه اللحظة ... اليصابات ؟ مريم ؟ هل حقيقة انتما هنا ؟ .

اليصابات : نحن هنا يا سيدتي ، ما بك قطعت نياط قلبينا .

تيودورة : نحن في يقظة أم في منام ؟

مريم : نحن في يقظة اليمة يا سيدتي ما بك حدثينا ...

تيودورة : لا . لا . أبداً . لسنا في يقظة والا ما أتى بكما في هذه اللحظة ؟

اليصابات : جئنا نؤدي واجب الزيارة لسيدتنا القيصرة ، فرأيناك في هذه الحال مغمى عليك ، ماذا دهى يا سيدتي .

تيودورة : داهية الدواهي .. وكارثة الكوارث .ومصيبةالمصائب.. (تصمت)

اليصابات : عاش سيدنا القيصر المعظم .

تيودورة : القيصر بخير ، ولكن هي نائبة النوائب .

مريم : حدثينا يا سيدتي .. كفى .. كفى ماذا دهى ؟

تيودورة : تتلعثم ما .. ت . سيد .. نا .. ما .. ر سويريوس . أيتها الجبال تحطمي أيتها البحار غيضي ، انهد الجبل الأشم ، وغاض البحر الخضم .. (تبكي) .

اليصاباتومريم: أواه . أواه .. مصيبة عظمى ، وكارثة لا توصف وخطب جلل وأسفاه عليك يا أبا المؤمنين .. واحسرتاه عليك يا راعي رعاة الارثوذكسية تبكيان) .

تيودورة : (وهي تبكي) أجل.. أجل .. وأمصيبتاه بموتك يا سيديسويريوس يا من صرعت الابطال في سوح الجهاد ، يا من قاومت مملكة عظيمة وأنت وحيد ، وشريد فريد .. يا من هزّمت اعداء الحق وارهبت أبطال الوغى بصرير يراعك،يامنهزأت بالمصائبوالنوائبوالآلام. لاق ربك بدمك ، وعلى جبينك الوضاء أنوار الفضيلة والجهاد والبطولة والقداسة .

اليصابات : (تكفكف دموعها) يكفيك هذا الألم يا سيدتي المعظمة ، أننا نخشى عليك لئلا يصيبك مكروه فيهذه الحالة خففي عنك قليلاً .

مريم : (تكفكف دموعها) نعم خففي عنك يا سيدتي ، فالحزن حد ، وللبكاء قرار .

تيودورة : ألا يجب أن يبكى سويريوس المغبوط ، ألا يجب ان نرثى بيعة الله المضطهدة ، أواه .. قد (اكدرّ الذهب وتغير الأبريز الجيد)

أين ارمياء ليبكي أورشليم الصريعة ، أورشليم الدامية . أين ارمياء .

اليصابات : ان سيدنا سويريوس لم يمت ولن يموت يا سيدتي ، سيبقى حيـــاً بذكره ، خالداً بقداسته ، خطيباً مصقعاً بنفثات يراعه ، لن يموت لن يموت .

مريم : كيف يموت من أحيا موات الكنيسة ، وعلّم ابناءها كيف تكون البطولة ، وكيف يكون الجهاد ، كيف يموت من لا زال بوقاً مدوياً في كل زاوية من زوايا الأرض ، كيف يموت من كان موته حياة ، ورقاده خلوداً ؟ لن يموت لن يموت .

تيودورة : أنا أعلم ان سيدنا سويريوس لن يموت ، وسيبقى ذكره خالداً بخلود كنيسة المسيح السريانية ولكن لمن سلّم اغنامه المحبوبة عندما اغمض عينيه من نور هذه الأرض .

اليصابات : سلمهـــا الراعي الصالح ، يسوع المسيح ، الذي لا يرقد ولا ينام ، هو وحـده الراعي الذي لا يموت ، هو الآن حارسها يرعاها على المروج الخصبة مروج الايمان القويم ، ويسقيها من روحه كل لحظة لئلا يوقع بها ، فلا تخشي عليها يا سيدتي ، ان راعيها الآلهي يحرسها نهاراً وليلاً .

مريم : ولنا العزاء بحياتك يا سيدتي تيودورة ، وحيا سيدنا القيصر العظيم .

تيودورة : انتهى كل شيء يجب ان نفكر منذ الآن لانقاذ الكنيسة من الذئاب ذئاب بيزنطيه المجرمة . بيزنطية الظالمة ..

اليصابات : هل تفكرين يا سيدتي القيصرة ان نعقـد اجتماعاً بحضره سيدنا القيصر وميخائيل ويوحنا لكي يكون تفكيرنا سليماً في الطريقة المثلى لأحياء الكنيسة ؟ .

تيودورة : لا أظن أنه يوجد حاجة لذلك الاجتماع ، فالكنيسة حية لن تموت وسيرسل الله من يرعاها كما ارسل موسى لانقاذ قومه وهم عبيد في أرض مصر .

مريم : ذلك صحيح يا سيدتي ، ولكن من سيكون موسى الجديد الذي سيضرب فرعون على فكيه ؟

تيودورة : هل عقمت الكنيسة السريانية ، وفيها ألوف من الرهبان العلماء الأفاضل وألوف الالوف من الرجال الذين لم يحنوا الى الآن ركبهم للبعل لا لم تكن يوماً كنيسة المسيح السريانية عقيمة ، في كل دور يرسل لها الله من يرعى اغنامها رعاية صالحة ويذود عنها الذئاب الخاطفة العطشى لشرب دماء ابنائها .

الوصابات : اذا . لتطب قلبا سيدتي القيصرة المعظمة ، نحن الآن نفكر والمسيح رئيس الرعاة سيدبر ، ولتتعز سيدتي بعد الآن .

تيودورة : لست اكشف لكما سراً اذا قلت أنني لم ار ضائقة في حياتي مثل الضائقة التي شعرت بها اليوم ، ولو لم أكن قد اجتمعت بحضوركما بسيدنا مار سويريوس وعرفت مواهبه السامية ، وشجاعته البالغة ورعايته الصالحة ، لما أخذ مني الألم هذا المأخذ العظيم ، ولكن تلك اللحظات التي قضاها بيننا فسحر البابنا ، وبرهن لنا أنه الراعي الأمين الذي يستطيع وحده قيادة السفينة في هذا البحر المتلاطم ذلك كله أدمى قلبي وبكما الى هذا الألم العظيم .

مريم : اذا كنا نعتقد ان الرب يسوع المسيح هو راعي الكنيسة الأوحد فما بالنا نجزع اذا فقدنا راعياً كسيدنا مار سويريوس ، فيكفيه فخراً انه جاهد الجهاد الحسن وأكمل السعي وحفظ الايمان

ووضع له اكليل البر .

اليصابات : نعم يكفينا ذلك فخراً واعتزازاً لأن اسمه الكريم قد سجل في مطلع اللوحة الأولى للمجاهدين والظافرين الخالدين .

تيودورة : أطلب اليكما الآن يا عزيزتي ان ترتاحا قليلاً فأن الجهد قد أخذ منكما مأخذه .

اليصابات : بل قولي يا سيدتي أريد ان ارتاح قليلاً ، اذهبا لشأنكما.وسنذهب الآن اذا عاهدتنا سيدتي بأنها ستأخذ لها قسطاً من الراحة .

مريم : هذا شرطنا الوحيد يا سيدتي ، فهل أنت مستعدة لتنفيذه ؟ .

تيودورة : نعم أنني مستعدة لذلك واذهبا بسلام لأن (ابواب الهاوية لن تقوى عليها) .

٢ ـ المنظر الثاني

مار يعقوب البرادعي وانعاش الكنيسة

(تبقى تيودورة وحدها في غرفتها الخاصة ، وترى جالسة تفكر)

تيودورة : قد عاهدت اختيّ العزيزتين ان آخذ لي قسطاً من الراحة ، ولكن هل استطيع ؟ وهل يتلاشى من فكري طيف سيدي سويريوس ، وقد غاب وراء الشفق الباكي ؟ لا ... لا ... لست انساك يا بطل المسيح ، يا راعي الخراف الوديعة ، وان نسيتك لتنسني يميني .

(تجلس الى جانب الكرسي وتضع وجهها عليه وتغيب في تفكير عميق) .

أحقاً بقيت الآن كنيسة المسيح بدون راع ؟ أمات الربان الحكيم الذي قاد سفينتها زهاء ربع قرن في هذا الخضم المتلاطم الأمواج ؟ لست أصدق ، ولكن هي ارادة الله شاءت ان تنقله الى دار الخلود ليأخذ نصيبه من الراحة بعد التعب والعناء .

(تقف وتفتح يديها وتنظر نحو السماء)

أيها الرب يسوع المسيح ، يا راعي الخراف الناطقة ، يا من بذلت نفسك في سبيل خرافك ، وبموتك قتلت الذئب الكاسر لئلا يسطو من جديد على أي حمل من حملانك الوديعة ، لا تدع بيعتك المقدسة في هذه الحيرة القاتلة ، بل أرسل لها من كان جديراً أن يذهب أمام الرعية الى المراعي الخصبة ، من كان قوياً لينقذ تلك الحملان الصغيرة من أنياب الذئاب الكاسرة ، أيها المسيح أسمع دعائي الضعيف واسرع بانقاذ هذا القطيع المتبدد في كل واد وتحت كل كوكب ، انك يا الهي على كل شيء قدير .

(يطرق الباب طرقاً خفيفاً فتدخل إحدى الوصيفات)

الوصيفة : سيدتي ، ان بالباب أميراً من أمراء العرب يريد التشرف بالدخول اليك مع بعض أشراف قبيلته .

تيودورة : رباه ، أمير من أمراء العرب ومن يكون هذا الأمير ؟ وماذا يريد؟ أوراء الأكمة ما وراءها ؟ ايدخل يا بنيتي ، واعدّي له ولأصحابه غداءً فاخراً ، فهؤلاء ملوك غسان العظام ، وحماة بيعة الله في بقاع الشام وربوع الجزيرة .

(تمسح وجهها بمنديل وعينيها ، وتقف قريباً من الباب ، فيفتح الباب ويدخل شيخ عربي جليل طويل القامة كريم الوجه وعليه عباءة فاخرة مرصعة بالجواهر الغالية ، وعلى رأسه عقال ثمين ذو

لحيـــة خفيفة بيضاء هو الحارث بن جبلة ملك غسان ومعه شيوخ قبيلته) .

تيودورة : أهلاً وسهلاً بك يا اخا العرب ، يبتهج قصر بيزنطية بهذا الجلال العربي الآخاذ .

الحارث : لنا الشرف الباذخ يا اخت العرب يا سيدة الفرسان ، وربيبة البطاح والفلوات ، ان نمثل اليوم بين يدي جلالتك ، فتربطنا معك أسباب القربى والحياة .

(ينحني فيصافحها ، وتقبل عقاله)

تيودورة : أنا مسرورة بحضوركم يا سيد العرب ، وهذه خيولكم توّقع على رصيف بلاطي انغام الظفر والشجاعة والانتصار ، وكأنني أسمع الآن شعراءكم ينشدون القصائد الحسان في تمجيد البطولة والشجاعة في فلوات الجزيرة ورياض الشام وضفاف ما بين النهرين .

الحارث : ما لنا وللفرسان في هذه اللحظة يا سيدتي ، وما لنا وللشعراء فيكفينا جلالك فارس الفرسان المغاوير ، ولطف جلالتك قصيدة القصائد الخرد الحسان . وهـذه السيوف سيوف غسان نلقيها تحت قدميك الملكيتين ، والعوالي الصارمات نكسّرها فدى ربة القصر وسيدة الصولجان .

تيودورة : تلكم شيمتكم يا اخا العرب ، فلا عدمنا كم حماة لبيعة الله المرهقة ، ولا عدمنا سيوفكم في رقاب الأعداء ، تشرب الدماء الغزيرة ، ولا كسرت عواليكم ، فانها الذخر الوحيد ليوم الوقيعة والكريهة ، ولا شلّت أيديكم ، فانها الحصون الباذخات في ظلام المعامع والمعارك .

الحارث : أجل يا سيدتي قد خاض فرسانك الاشاوس معامع تهيب لهولها الرضعان ، وسفكت دماؤها الطاهرة في سوح الحرب وفلوات الوغى ، ولم تنهزم في معركة واحدة من المعارك ، هؤلاء فرسانك يا تيودورة العظيمة ، وهؤلاء بنو عمك الأشاوس الذين دوّخوا الجزيرة بما فيها ، ولولا جلالتك بجانب يوسطنيان لكانت الآن بيزنطية حطاماً أسود تحت سنابك الخيول ، ولدكت حصونها الى الحضيض في لحظة واحدة بهجمة واحـــدة من هجمات اسود الجزيرة وفرسانها . الا ان يدنا قصيرة يا سيدتي وابنة عمنا الكريمة تبسط ظلها على مملكة قسطنطين .

تيودورة : اخبرونا يا سيد العرب عن حال تلك المضارب المحبوبة ، مضارب غسان العالية العماد .

الحارث : مضارب غسان بخير يا سيدتي ، وهي تنتظر أشارة منك لتهب كالعاصفة الهوجاء ، فلا تبقي ولا تذر .

تيودورة : قد مررتم يا سيد العرب في طريقكم على كل الكنائس والديورة ، فكيف حالتها بعد رقاد سيدنا مار سويريوس ؟

الحارث : لا تخافي عليها يا سيدتي ، فتلك الروح النبيلة لم تخب ، والقلوب العامرة بالايمان لم تمت ، ولا زال ابناء الكنيسة الأشاوس يجاهدون ويجالدون وعما قليل سينتصرون . الا انني أتيتك الآن يا صاحبة التاج الجليل لأستشيرك في أمر هـــام يخص الكنيسة جمعاء . فالمراعيث بحاجة الى اساقفة ، وكثير من المدن والقرى بحاجة الى كهنة ، وماذا أقول بعد الآن والحصاد كثير والفعلة قليلون .

تيودورة : هذا ما كنت أريد مباحثتكم فيه أيها الحارث الجليل ، فهل تعرفون

رجلاً يحمل في صدره الكفاءات اللائقة للقيام بهذا العبء الثقيل ؟

الحارث : نعم يا سيدتي هناك رجال كثيرون يتمتعون بهذه المواهب ، وقد منحهم الروح القدس قوة لأحتمال المكاره والصعاب، ولكن كيف الحال والآباء الاساقفة في المنافي والسجون والمعتقلات ؟

تيودورة : ان الآباء القديسين البطاركة والاساقفة هم الآن عنكم قاب قوسين هم في قصر ابنتكم تيودورة ، ومنذ أمد بعيد تخدمهم هاتان اليدان وتوفّر لهم أسباب الراحة: وكم غسلت أقدامهم تلك الأقدام التي وطئت مذبح الله المقدس ، نعم يا سيدي الجليل ، القديسون الآن هم في قصري ، وهم مستعدون لكل إشارة تنعش آمال الكنيسة .

الحارث : اذاً ، نحن على أتم استعداد لنقدم لك راهبين فاضلين اتصفا بالعلم والغيرة والشجاعة والقداسة ، وهما الأب يعقوب ابن القسيس تيوفيل من تل موزل راهب دير فسلتا ، والأب تيودور العربي الغساني ، واظنهما كافيين للحملة التي نريدها .

تيودورة : قد اتفقنا اذاً يا سيدي الجليل ، ولكن أين الرهبان ؟

الحارث : هما في طريقهما الينا ، وعهدي بهما قد وصلا الآن الى ابواب العاصمة واذا أمرت سيدتي القيصرة المعظمة سنأتي بهما للمثول بين يديها .

تيودورة : عجّلوا بذلك يا سيدي ، فالوقت ثمين .

(يخرج أحد الشيوخ ليحضر الراهبين)

تيودورة : وماذا تعرفون يا سيدي الحارث عن القبائل العربية في فلوات الجزيرة ، وفي أطراف نصيبين ، وعلى ضفاف الدجلة والفرات ؟

الحارث : نعرف كل شيء عنهم يا سيدتي ، فكلهم بخير ، ولكنهم بحاجة مثل غيرهم الى رعاة يتعهدون أمورهم الروحية ، وكذلك قولي عن المدن الكثيرة التي تغص بأبناء الكنيسة من حدود فارس الشرقية حتى بلاد الهند ، ومن البحر حتى الحجاز ومصر والمدن الخمس والحبشة ، هؤلاء كلهم يا سيدتي بحاجة الى من يقوم برعايتهم . وانت تعلمين ان البطريركين الارثوذكسيين بعيدان عن الخراف فأنتيموس بطريرك القسطنطينية وزميل سويريوس ، ومثله ثاودوسيوس بطريرك الاسكندرية كلاهما سجينان ، وكل الاساقفة والرؤساء معهما ، وسيد الرعاة المبجل مار سويريوس ذهب للقاء ربه بعد جهاد شاق ، وهذه هي الحالة يا سيدتي .

تيودورة : لي الأمل العظيم يا سيدي الحارث ان يكون الراهبان خميرة صالحة لأحياء تلك الأرواح العظيمة في كل مدينة وقرية ، وفي كل مضرب من مضارب العرب الذين لهم المكانة العليا في قلوبنا .

الحارث : ذلك ما ستظهره لنا الأيام فطيبي نفساً يا سيدتي ، وأحسبي ان كل شيء على ما يرام .

(يفتح الباب فيدخل الشيخ العربي ومعه الراهبان ـ الأب يعقوب وهو ابن اربع وأربعين سنة ، ضعيف البنية خفيف الشعر ، عليه أسمال بالية . والأب تيودور في مثل سنه الا انه ذو هيبة وجلال فيقفان امام القيصرة) .

تيودورة : اذاً هذان هما الأبوان اللذان أشرتم اليهما يا سيد العرب ؟

الحارث : نعم يا سيدتي هذان هما ، هذا الأب يعقوب (يشير اليه) وهذا الأب تيودور (يشير اليه) وهما اعظم كفاءة من كل الذين عرفتهم

منذ صباي والى الآن ، وأنا أطرق باب السبعين .

تيودورة : أرحب بكما أيها الأبوان الجليلان ، ولي الآن ان انال البركة من قداستكما ، واني لفخورة بالاتفاق مع سيدي ملك غسان ان نرشحكما للعمل في حقل الكنيسة ، فترسمان اسقفين ، وقد عزّ اساقفة الارثوذكسية .

الراهب يعقوب: ان هذا العمل الجبار يتطلب كفاءة وقوة واقتداراً ، وهل في اسمالي البالية تختفي هذه القوة العظيمة؟ أرجو من القيصرة المعظمة ان تبحث عن غيري .

الراهب تيودور: وانا أيتها القيصرة المعظمة ، لا أعرف من أمور الحياة غير مضارب غسان التي عبدت الله بينها منذ نيف وعشرين سنة ،وهل يصلح من كان مثلي لهذا العمل العظيم ؟

تيودورة : (تبتسم قليلاً) قد اختاركما الروح القدس ، وعبثا تمانعان ، فأنت أيها الأب يعقوب بهذه الأسمال البالية يريدك الرب ان تقهر الأمم والممالك ، وبهاتين القدمين الحافيتين يريدك الرب ان تجول الفيافي والقفار والمدن والامصار فتشدد عزائم ابناء الكنيسة ، وتقيم في كل مدينة وقرية رئيس اساقفة أو اسقفاً أو قسوساً أو شمامسة ، وذلك بحسب الحاجة .

الراهب يعقوب: (يحني رأسه ويتمتم) هذا عظيم علي يا سيدتي ، فلم أخرج الى الآن من ديري ، وما ديري الا مغاور في صخور صماء ، فأنّى لي ان أقهر الفلوات الشاسعة ، وكيف لي أن أدخل المدن وفي فمي هذا اللسان العاثر ؟

تيودورة : عبثاً تحاول يا أبتي ، ولي الفخر ان انحني الآن وانال البركة من

أسمالك البالية ، بـل لي العز ان القي بتاج الملك على ركبتيك العاريتين، فلا تمانع وقد دعاك الروح الى عمل عظيم مثلما دعا موسى.

الحارث : كفى يا سيدي يعقوب ، فصوت جـلالة الملكة من صوت الله ، ومن دعاه الله هل له ان يمانع ؟

تيودورة : من رأيي ان يوافق الابوان على النعمة التي دعاهما اليها الروح القدس

الراهب تيودور: لم تسمحا لي يا سيدتي القيصرة وياسيدي ملك غسان ان اعتذر لكما عن قبولي هذه الدعوة ، فأنـني أضعف أخواني الرهبان أرجو أن تبحثا عن غيري .

الحارث : ان مضارب غسان تنتظر جهادك يا أبتي تيودور ، ولن يخرج الحارث من بين يدي سيدتنا القيصرة قبل أن تذعن أنت ورفيقك يعقوب لمشيئة الروح القدس .

تيودورة : لم يبق حاجة للكلام أيها الأبوان الفاضلان ، ففي صباح غـد ستكونان جاثيين أمام المذبح المقدس في كنيسة القصر الملكي ، وسيضع عليكما اليد البطريرك القديس ،ومار ثاودوسيوس بطريرك الاسكندرية المعظم ، وسيحضر حفـلة تكريسكما امبراطور بيزنطية بتاجه وصولجانه ، وابنتكما تيودورة ستكون في الجانب الآخر من هيكل الله تراقب حلول الروح القدس عليكما ، وتسمع حفيف اجنحته ترفرف فوق رأسيكما الكريمين .

الحارث : وسيكون الحارث بن جبلة الغساني الى جانب قيصر بيزنطية العظيم شاهداً لرسامتكما ، وسيحضر شيوخ العرب عرسكما الروحاني ، فاخضعا اذاً لصوت الروح القدس .

الراهب يعقوب: أنني أضع نفسي الضعيفة في خدمة المسيح وحملانه الناطقـــة ، وأحني كتفي ضعيفين لحمـــل نيره المحبوب ، ولتكن إرادة الله لا إرادتي .

الراهب تيودور: وليقبلني المسيح الاله بين خدامه الأمناء مثل صديقي يعقوب وليتمجد اسم الرب .

تيودورة : ليتمجد اسم الرب بكما ولتزدهر كنيسته بجهادكما .

الحارث : ليقبل الرب خضوعكما ، وليقبل خدمتكما ، فاطلبا من الرب يسوع البركة للحارث الغساني ولتيودورة القيصرة المعظمة .

تيودورة : ارغب الى الأبوين الجليلين ان يرتاحا قليلاً في بهو القصر الملكي وليستعدا لقبول موهبة الروح القدس غداً وليبقى سيدي الحارث الى جانب ابنته تيودورة لنشترك مع شيوخ العرب بالغداء على المائدة الملكية .

انتهى

المشهد الثامن

رجوع القيصر

(يظهر القيصر جالساً الى تيودورة في غرفتها الخاصة)

تيودورة : قد أنشرح صدري يا سيدي بعودتكم سالمين ، فأشكر الله على فضله.

القيصر : وأنا احمد الله يا تيودورة لأنه اعادني سالماً اليك .

تيودورة : أرجو أن لا يكون سيدي القيصر قد عانى تعباً جزيلاً في رحلته الشاقة .

القيصر : لا ، لم أتعب ولا سيما ان الله كلل مسعاي بالنصر ، فأنهزم الاعداء وعدنا نحن ظافرين ، ولكن الذي ألمني يا تيودورة اكثر من كل شيء أخبار العاصمة ، فلم أكن اتوقع أن تبدو تلك الوقاحة من ذينك الوزيرين الخائنين .

تيودورة : لم لا تتوقعون يا سيدي هذا ، وانتم تعلمون ما يبيتونه لكم وللعرش ، ولكن أشكر الله ان مؤامرتهم خفقت .

القيصر : كنت متأكداً من فشلهم يا تيودورة لعلمي بحكمتك وتقواك ، مما جعلني متفائلاً كما أنني زاد تفاؤلي بوجود القائدين المحبوبين ميخائيل ويوحنا في العاصمة .

تيودورة : انني يا سيدي نسيت كل تلك المآسي بعودتكم الميمونة ، فأرجو ان تضربوا عنها صفحا .

القيصر : أأضرب عنها صفحاً ؟ وهل يمكن ان نتغاضى عن تلك الوقاحة ؟ لا ... لا ياتيودورة ، فيجب أن ينال الخونة جزاء خيانتهم ، وينال المخلصون جزاء اخلاصهم .

تيودورة : أرجو من سيدي القيصر ان يكون رحيماً ، فان الرب يأمرنا بالمسامحة .

القيصر : الرب يأمرنا بالمسامحة ، ولكن هل يسامح الخونة والماضين في اقلاق راحة المملكة ؟ وهل يمكن ان يسامح اولئك الأشرار الذين أرادو ان يحزنوا قلب القيصر ، وتحطيم اثمن درة في تاج بيزنطية ؟ لا ... لا ...

تيودورة : (ترتجف) أرجو من سيدي القيصر ان يفكر برحمة الله المحيطة بعرشه وتاجه ، ولولاها لما استطعنا اخماد الفتن والقضاء على الدسائس .

القيصر : رحمة الله لا زالت معنا يا تيودورة ، لأننا خدمناه ووفرنا كل هناء لابناء المملكة ، ولقاء ذلك يجازينا الخونة بخبثهم وشرهم . لا ... لا ... لن أسامحهم .

تيودورة : ومع ذلك أرجو ان يكون سيدي رحيماً .

القيصر : (يقف ويتمشى في الغرفة ذهاباً وإياباً وهو يفكر وعلائم الغضب على وجهه) (أرغب ان ترتاحي قليلاً يا تيودورة وارسلي اليّ الحاجب).

تيودورة : سأرتاح يا سيدي وأرجو ان يرتاح صاحب الجلالة فقد أخذ الغضب منه مأخذه ، كما أرجو ان تكون الرحمة فوق كل شيء .

القيصر : لا استطيع ان اعدك بذلك يا تيودورة ، وانت تعلمين ان الذين ارادوا الاعتداء عليك انما ارادوا قطع يميني ، والتطويح بعرشي وتاجي ، فاذهبي بسلام وليحضر الحاجب .

(تخرج وهي لا زالت تنظر الى القيصر باستعطاف ، والقيصر يودعها بابتسامة متكلفة).

الحاجب : (يدخل الحاجب فينحني أمام القيصر) ليأمر سيدي القيصر .

القيصر : ادع لي الوزراء الثلاثة والقائدين ميخائيل ويوحنا .

الحاجب : (ينحني) سمعاً وطاعة يا سيدي .

القيصر : (يتمشى في الغرفة) تباً لكم أيها الخونة ، فأي ذنب أتت تيودورة الحكيمة لكي تريدوا اغتيالها ؟

أواه ، ألم يكن بلاط بيزنطية جحيماً فجعلت منه فردوساً ؟ ألم تكن البلاد بأسرها تغلي كالمرجل فجعلتها حكمة تيودورة كالبحيرة الهادئة ؟ الا تبا لكم أيها المجرمون .

(يطرق الباب فيدخل الحاجب وينحني)

الحاجب : لبيك يا سيدي قد جاء الوزراء الثلاثة والقائدان .

القيصر : (وكأنه لا زال في غيبوبة فيفيق) ليدخلوا يا أبني .

(يدخل الوزراء الثلاثةوالقائدان وينحنون أمام القيصر ، ويقفون باحترام ، فيجلس القيصر على الكرسي وينظر اليهم نظرات طويلة وهم لا زالوا واقفين)

القيصر : كانت رحلتي موفقة كل التوفيق لو لم ينغصها اولئك الأشرار

بفعلتهم الخبيثة ، والآن دعوتكم لكي تحيطوني علماً بدقائق تلك المؤامرة الخسيسة ، وتفضلوا بالجلوس ..

(يجلسون وهم يرتجفون خوفاً من غضب القيصر ، ولا يبدو أي كلام منهم) .

القيصر : تكلم يا يوحنا ، ماذا تعرف عن المؤامرة الجائرة .

يوحنا : (وهو لا زال يلهث خوفاً) أعرف كل شيء يا سيدي ، وقبل ان ابسط القضية أمام جلالتكم أشكر الله على رجوعكم سالمين .

القيصر : نشكر الله على كل حال يا أبني ، ولكن هات ما عندك .

يوحنا : منذ غادرتم العاصمة يا سيدي وعيوننا تراقب اولئك الأشرار ، وفي إحدى الأمسيات نقل اليّ احدهم تفاصيل المؤامرة الخسيسة وقد كتبنا ضبطاً بعد احباطها ، وأمسكنا المجرمين الثلاثة ، وهم تحت حراستنا في السجن .

القيصر : بارك الله فيك ، وهل علم اخوانك الحاضرون بتفصيل المؤامرة ؟

يوحنا : منذ اللحظة الأولى اعلمتهم كل شيء يا سيدي ، واتفقنا جميعاً على احباطها ، ونشكر الله قد تم كل شيء على ما يرام .

القيصر : حدثنا يا ميخائيل عن النهاية .

ميخائيل : النهاية يا سيدي كانت حسنة جداً ، فبعد ان أمسكنا المجرمين يوحنا وأنا وهدأنا روع سيدتنا القيصرة ، عقدنا اجتماعاً مع الوزراء الأفاضل الثلاثة الحاضرين ، واستقينا جميع المعلومات عن تدبير تلك المؤامرة الخسيسة .

القيصر : وكيف كان ذلك ؟

ميخائيل : أخبرنا المجرمون يا سيدي ان اجتماعاً عقد في محل ما في الجانب الآخر من البسفور ، وقد تزعم الاجتماع ذانك الوزيران الخائنان ، فرنسوا وليون وحضره القائدان يوسطين وجبرائيل ، وبعد أن اظهر الوزيران خططاً جهنمية كثيرة ،وحرّضا على اغتيال القيصرة ـ صانها الله ـ غادرها القائدان محتجين على لؤمهما .

القيصر : بارك الله فيك يا ميخائيل ، ثم ماذا ؟

ميخائيل : اصر الوزيران الخائنان على شرهما حتى النهاية ، فاتفقا مع مدير السجن (لوكوس) فأعطاهما ثلاثة من المجرمين الخطيرين على ان يقتلوا بعد تنفيذ المؤامرة ، ولكن الله اعاد كيدهم في نحرهم .

القيصر : هاتوا الينا التقارير التي كتبتموها عن تلك المؤامرة الخسيسة .

احدالوزراء: (يخرج اضبارة كبيرة من تحت جبته ويدفعها للقيصر) هـذه يا سيدي خلاصة التحقيقات .

القيصر : بارك الله فيكم يا رجال الحكمـة والاخلاص ، ولا عدمـكم بلاط بيزنطية عوناً في الملمات .

(يقلب صفحات الاضبارة ويظهر دهشة كلما قلب صفحة جديدة ، ويتفاقم غيظه وغضبه) واين اولئك الخونة المجرمون ؟

الوزير : أنهم تحت الحراسة يا سيدي ، وطالما ثارت فينا النقمة لكي نقطع رؤوسهم ، ولكن وددنا ان نبقيهم أحياء لينالوا جزآء خيانتهم بحضور سيدنا القيصر .

القيصر : (متألماً) وأحسرتاه عليك يا تيودورة ، أهكذا كانوا يريدون القضاء عليك ؟ وأنت الدرة اللامعة في تاج بيزنطية ، لا ... لن

يستطيعوا . ان الله معك يا إبنة التقوى وربيبة الفضيلة .

الوزير : وماذا يأمر سيدي القيصر بعد الآن ؟

القيصر : ماذا نأمر ؟ أيحتاج الأمر الى سؤال أيها الوزير الجليل ؟ ليحضر المجرمان مصفدين بالأغلال ، واذهب يا يوحنا أنت وميخائيل واجلبوهما الى هنا .

(يخرج يوحنا وميخائيل ويبقى الوزراء بحضرة القيصر)

القيصر : أنني متأسف جداً أيها الوزراء الأجلاء ، فمنذ وطأت قدما تيودورة العاصمة والله يوفقنا في جميع المجالات ، ولا أدّعي ان ذلك يعود الا الى حكمة تيودورة وتقواها ، ولا سيما شجاعتها التي يتجرد منها الرجال .

الوزير : ذلك كله صحيح يا سيدي ، وقد رأيتها بأم عيني تمتشق الحسام وتنزل من مقصورتها وتجابه الثائرين بشجاعة يهلع لها قلب الأبطال وفي الثورة التي قام بها شياطين الغرب ضد جلالتكم منذ سنتين ، وأوشكوا أن يقتحموا البلاط ، طردتهم تيودورة الشجاعة ولم يكن الى جانبها غير يوحنا وميخائيل .

القيصر : ذلك كله اعلمه وهذا ما يؤلمني ان تجازى القيصرة الشجاعة الحكيمة عن الخير شراً .

(يطرق الباب)

القيصر : ادخل(يدخل الحاجب) عاد القائدان يا سيدي يقودان المجرمين .

القيصر : ايدخلوا .

(يدخل يوحنا وميخائيل وكل منهما يقود أحد الوزيرين الخائنين مصفداً بالأغلال ، فيتميز القيصر غيظاً) .

القيصر : أجل هذان هما المجرمان الخائنان ، ويجب ان ينالا جزاء خيانتهما .

(يرتجف الجميع خوفاً والوزيران الخائنان ، تكاد انفاسهما تتقطع)

ميخائيل : الآن يجب ان يقول سيدي القيصر كلمته في هذين الخائنين .

القيصر : يجب ان تبرز الأوراق فيسألان عن كل نقطة من نقاط التقارير .

الوزير : (يفتح الوزير الاضبارة ويقف الجميع الا القيصر) ويسأل الوزير. فرنسوا هل انتما قمتما بالمؤامرة ؟

فرنسوا : (يبقى مطرقاً ولا يتكلم) .

يوحنا : عجل ، تكلم ، فوقت جلالة القيصر ثمين .

فرنسوا : (يرتجف ويرفع رأسه قليلاً الى يوحنا) ماذا اتكلم يا يوحنا وقد علمتم كل شيء .

ميخائيل : اذا انتما قمتما بالمؤامرة .

فرنسوا : نعم . نعم . ولكن ...

ميخائيل : ولكن ماذا أيها الشرير ؟ وماذا دفعكما الى هذه الخيانة العظمى ؟

فرنسوا : دفعنا اليها ، من تعلمون .

ميخائيل : يجب ان تصرح أيها المجرم .

فرنسوا : لا أستطيع أن أصرح وهل بقي غير الموت ؟

ليون : كنا نفضل ان يقطع رأسانا قبل وقوفنا أمام جلالة القيصر هذه الوقفة الرهيبة ، وكم مرة طلبت اليك يا يوحنا ان تفعـــل ذلك قبل عودة جلالته .

يوحنا : صه أيها المجرم ، يجب ان تنال جزاء الخيانة كاملة غير منقوصة أنت ورفيقك .

فرنسوا : أيتها الجبال غطنا ، أيتها الأرض ابتلعينا ، فالموت أسهل جداً من هذه الوقفة الرهيبة .

ميخائيل : يجب ان تصرحا من الذي دفعكما الى هذه الخطة الجهنمية .

ليون : دفعنا الغرب يا سيدي ، وانتم تعلمون الحقد الذي يكنونه للقيصرة تيودورة .

القيصر : الحقد الذي يكنونه للقيصرة تيودورة ، الا ليتحطم الغرب ، ولتمت تلك المدينة المجرمة الجائعة على ذلك النهر القذر ، تيودورة ستبقى في الحياة قيصرة عظيمة رغم حقدهم وجبنهم ومؤامراتهم .

ميخائيل : ايأمر سيدي القيصر بانهاء الجلسة وباصدار الحكم على الخائنين المجرمين .

القيصر : انتهت الجلسة الآن وليضرب رأساهما غداً صباحاً في الساحة الكبرى أمام سكان العاصمة ليكون ذلك عبرة للمعتبرين .

يوحنا : وأرى يا سيدي القيصر أن يسيرا في شوارع العاصمة مصفدين بالأغلال ، وان ينادي المنادي أمامهما « هذا جزاء الخيانة » .

(ينفتح الباب فجأة فتدخل تيودورة وهي تلهث)

تيودورة : لا ... لا ... لن اقبل بهذا الحكم ، يجب ان يسامحا .

القيصر : يجب أن يسامحا يا تيودورة ؟ بل يجب أن يقتلا .

تيودورة : (ترتمي أمام القيصر وترفع يديها بالدعاء) ليرحم سيدي القيصر

بؤسها وليعف عنها مثلما عفت تيودورة .

يوحنا : أطال الله حياتك يا سيدتي .

القيصرة : دعني يا يوحنا دعني ، يجب ان يسامحا ، ولتذهب تيودورة قرباناً لانتصارات القيصر .

القيصر : (يقف مندهشاً) تيودورة ، تيودورة ، يجب أن يقتلا ، فمن أراد القضاء على ينبوع الحكمة أيستحق أن يستنشق بعد الآن هواء هذه الحياة ؟

تيودورة : أطلب الرحمة يا سيدي لهما ، واطلاق سراحها لوجه الله ، فينبوع الحكمة بيد الله .

القيصر : كنت اتمنى يا تيودورة ألا أعود من تلك الحرب الضروس فأسمع بهذا الاعتداء الفظيع على حياتك الثمينة .

تيودورة : أطال الله بقاءك يا سيدي القيصر ، قد اعادك الله الى تيودورة فأعد هذين الوزيرين البائسين الى من ينتظرهما في داريهما ، فلا بدّ هناك قلوب تنتظرهما .

القيصر : ان طلبك لن يردّ يا تيودورة ، ولكن هي الخيانة ، هو الاجرام هو الشر ، يجب أن ينالا جزاءهما .

أحدالوزراء: هل يسمح سيدي القيصر ان أبدي رأيي في هذين البائسين لراحة سيدي القيصر وسيدتي القيصرة ؟

القيصر : تفضل أيها الوزير الجليل ، ولكن يجب ان يموتا .

الوزير : أمر سيدي القيصر بقطع رأسيهما ، وطلبت سيدتي القيصرة ان يطلق سراحهما ، فهل لي ان أبدي رأياً متوسطاً .

القيصر : قلت لك يجب أن يموتا .

ميخائيل ويوحنا والوزيران الباقيان : نرجو من سيدنا القيصر ان ينظر الى رحمة سيدتنا القيصرة ونرجو ان يحترم شعورها .

القيصر : اذاً تفضل أيها الوزير ، واعط حكمك في هذين المجرمين .

الوزير : لا ، لا يجب أن يطلقا ، ولا يجب أن يموتا ، وليحكم سيدي القيصر بسجنهما حتى انتهاء حياتهما .

القيصرة : أتريدون ان لا اوافق على هذا ؟

الوزير : أرجو من سيدتي القيصرة ان توافق احتراماً لرأي سيدي القيصر .

القيصر : وافقت على ذلك ، وآمر الآن ان يحفظ كل منهما في سجن ضيق ، لينالا جزآء خيانتهما وشرهما .

القيصرة : بل ...

القيصر : لا تقاطعيني يا تيودورة ، أمرت وانتهى كل شيء .

يوحنا وميخائيل: (يسحبان المجرمين الى خارج) .

القيصر : ليدع القائدان يوسطين وجبرائيل .
(يخرج أحد الوزراء ويأتي بهما . فيجلس القيصر والى جانبه القيصرة والوزراء الثلاثة . ويدخل القائدان فيجثوان أمام القيصر والقيصرة ويقفان ثم يدخل ميخائيل ويوحنا) .

القيصر : علمت يا ولديّ أنكما برحتما تلك الجلسة التي دبرها الوزيران الخائنان احتجاجاً على المؤامرة الخسيسة فأثني على امانتكما .

يوسطين : يعلم الله يا سيدي القيصر المعظم أننا دعينا أنا ورفيقي جبرائيل الى تلك الجلسة ونحن لا نعلم الغاية منها ولكن لما علمنا استنكرنا الهدف الجهنمي فتركنا الجلسة حالاً محتجين .

القيصر : بارك الله فيكما يا ولديّ .

يوحنا : أرجو من سيدي القيصر ان يكافيء القائدين يوسطين وجبرائيل لاحتجاجهما على تلك الخطة الجهنمية . كما أرجو ان يكافأ الوزراء الثلاثة الأمناء .

القيصر : نأمر بمكافأتكم جميعاً لأخلاصكم في سبيل العرش (يفتح صندوقاً ويخرج منه سبعة اوسمة من درجة قائد شرف ويمنح لكل من الوزراء الثلاثة والقواد الاربعة وساماً) .

تيودورة : أسأل الله ان يمتعكم أيها الاوفياء بثمار وفائكم واخلاصكم ولتهنأوا باوسمة الشرف هذه .

يسدل الستار

المشهد التاسع

حالة كنيسة فارس وجهاد مار يعقوب البرادعي

(تظهر القيصرة واليصابات ومريم والقائدان يوحنا وميخائيل)

القيصرة : أشكر الله لأننا ارتحنا من جميع المزعجات ، فقد باءت المؤامرات بالفشل وعاد القيصر سالماً وعوقب المتآمرون ، وكوفيء المخلصون .

يوحنا : أننا لسنا مسرورين لهذه النتائج وحسب بل لراحة سيدتنا القيصرة المعظمة .

ميخائيل : ذلك ما يفعم قلوبنا سروراً لأنها نالت مكافاة جهادها المبرور ـ صانها الله ـ .

القيصرة : ليس هناك جهاد أيها العزيزان ، ولكن ربما قمت بشيء من الواجب والله تعالى ينظر الى القلوب .

اليصابات : (تبتسم) لا زلت أذكر ذلك المساء المؤلم ، يوم اعلن يوحنا اسيدتي القيصرة عن المؤامرة ، ولا زالت ملامحها الملكية نصب عيني ، وان انسى لا انسى تلك الشجاعة المنقطعة النظير .

مريم : ان شجاعة سيدتنا القيصرة ستبقى درساً خالداً لجميع الملوك في الأجيال القادمة .

القيصرة : عدتما أيتها العزيزتان الى النغمة القديمة ، نغمة الاطراء والمديح ؟ فنحن هنا في جو أخوي ولا تعتقدتيودورة أنها أفضل من اليصابات ومريم الا بأنها تحبها ربما اكثر مما تحبانها .

اليصابات : ذلك صحيح يا سيدتي لأن حبك الملكي لنا هو أسمى من أي حب آخر ، وهذا فضل من صاحبة الجلالة أيدها الله .

القيصرة : منذ مدة لم نسمع عن جهاد سيدنا مار يعقوب ، فهل لديكم شيء جديد؟

يوحنا : أنها صفحة جديدة وممتعة ، مار يعقوب وأسماله البالية يقهر الأمم والأمصار ، وقدماه الحافيتان تجوبان الفيافي والقفار .

القيصرة : ذلك ما سيكون بكل تأكيد ، لأن الرب قال « قوتي بالضعف تكمل » فضعفنا البشري لا يستطيع ان يربح أية جولة في الحياة ما لم يؤيدنا الرب ، وهكذا قولوا عن مار يعقوب .

(يطرق الباب فتدخل إحدى الوصيفات)

الوصيفة : ان بالباب يا سيدتي راهباً غريباً عليه علائم العناء والتعب ، وأظنه قادماً من بلاد بعيدة .

القيصرة : وماذا يريد يا بنيتي ؟

الوصيفة : يريد المثول بين يدي جلالتك . ولعلّ له حاجة يطلبها .

القيصرة : ليدخل وأنها لفرصة ثمينة أن يكون عندي اصدقائي الاعزاء .

(تخرج الوصيفة ويدخل ناسك عليه علامات سفر شاق طويل)

الاسقف : أسعد الله أيام صاحبة الجلالة ، وبارك الرب بملكها وتاجها .

القيصرة : لتكن القيصرة سعيدة بدعائكم يا أبتي الجليل ، من أين أتيت ؟

الاسقف : أنني أيتها القيصرة المعظمة الاسقف شمعون من بلاد فارس الجنوبية الغربية ، وقد قادني لطف جلالتك الى هذه الديار لعلمي بأنك تهتمين بسائر الأمصار التي يقطن فيها أبناء الكنيسة السريانية .

القيصرة : بلاد فارس، آه .لولا الحروب المتواصلة بيننا وبينهم لكان لي النصيب في خدمة ذلك القسم المحبوب من الكنيسة ، وأنني يا أبتي الجليل لم أسمع عنها شيئاً الى الآن .

الاسقف : هذا ما نعرفه يا سيدتي ، وهو الذي حملني لتجشم أتعاب السفر وأخطاره، فقد أتيت لكي أبسط لجلالتك حالة الكنيسة في تلك الديار.

القيصرة : وأرجو أن نستطيع مساعدة هذا القسم المحبوب من الكنيسة ، فان هناك عقبات كثيرة أهمها المطاحنات السياسية والحربية بين مملكتنا ومملكة الفرس .

ميخائيل : ان المطاحنات السياسية يا سيدتي والحربية لا تستطيع مقاومة كلمة الرب .

يوحنا : ذلك صحيح ولا سيما ان شجاعة سيدتنا القيصرة وحكمتها تخضع كل عقبة كأداء مهما كانت .

اليصابات : بعد ان نسمع من السيد الجليل عن حالة الكنيسة هناك ، لدي اقتراح سأبديه أمام سيدتي القيصرة ربما ينال استحسانها .

القيصرة : اذاً اخبرنا أيها السيد الجليل عن حالة الكنيسة هناك .

الاسقف : الحالة العامة يا سيدتي لا بأس بها ، الا ان الدولة الفارسية تتهمنا بمحبة دولتكم المعظمة وذلك بوشايات المناوئين لمبادىء الكنيسة الارثوذكسية ، ولو استطاع هؤلاء لما تركوا ارثوذكسياً واحداً في تلك البقاع .

القيصرة : ذلك ما استبعده يا سيدي، وعهدي بأبناء الكنيسة السريانية يخلصون الوفاء لكل دولة ينضمون تحت ظلها اليس كذلك ؟

الاسقف : بلى يا سيدتي ، فأننا نحن أبناء الكنيسة السريانية من أخلص المخلصين للعرش والمملكة هناك ، وهؤلاء فتياننا في الجيش الفارسي يبلون البلاء الحسن في الخدمة والاخلاص ، كما ان قواداً في الجيش من أبناء الكنيسة ، وهم الساعد الأيمن لذوي الشأن ، ويعرف ملوك فارس حبهم لوطنهم واخلاصهم لدولتهم ، ولكن الوشايات تعمل عملها في بعض الأحيان ، وهذا ما يؤلمنا .

القيصرة : وماذا الذي عندكم من المعلومات عن الحالة الروحية ؟

الاسقف : الحالة الروحية يا سيدتي جيدة بوجه العموم ، وأبناء الكنيسة متمسكون بمبادئهم ، ولا يخفى على سيدتي القيصرة ان القبائل العربية في ديار نينوى وسنجار ونصيبين كلها من ابناء الكنيسة ، وهي راسخة في ايمانها ، بل هي عماد الكنيسة في بلاد فارس .

القيصرة : كنت قد سمعت عنها اخباراً يسيرة ، ولكن لم تكن كافية ، فهل هناك رجال كثيرون في خدمة هذه القبائل المحبوبة ، وفي بقية المدن والقرى ؟

الاسقف : ليس هناك الا أسقف واحد كان في جبل سنجار ، وهو يتخفى من موضع الى آخر خوفاً من الوشاة ورهبة من سطوة الظالمين .

القيصرة : اذاً الحالة لا نحسد عليها ياسيدي فالكنيسة عندكم بحاجة الى خدام أمناء ، والى عدد كاف في كل مكان .

الاسقف : لدينا مجموعة صالحة من الكهنة والرهبان وهؤلاء يقومون بواجباتهم نحو الرعية ، ولكننا بحاجة الى رئيس أعلى نعود اليه في الأمور الهامة . ورؤساؤنا في قطيسفون يحوزون قوة روحية لا بأس بها الا ان مملكة الفرس تغل ايديهم بوشايات اعدائهم .

القيصرة : إذن ماذا تقترحون أيها السيد الجليل ؟

الاسقف : اقترح ان يكون اتصال بملك فارس مباشرة ليحسن ظنه في أبناء الكنيسة . وليطلق يدهم في اعمالهم الروحية شأن غيرهم .

القيصرة : وكيف ذلك يا سيدي ؟

الاسقف : ذلك ما ارجوان تفكر بهسيدتي القيصرة المعظمة .

اليصابات : اذن لتسمح لي سيدتي القيصرة بأبدآء اقتراحي بهذا الشأن .

القيصرة : تفضلي يا اليصابات .

اليصابات : لنبحث عن الموضع الذي يكون فيه الآن سيدنا مار يعقوب وليكتب اليه ميخائيل ويوحنا بأمر جلالة القيصرة ليزور بلاد فارس ، وسينتهي كل شيء هناك على ما يرام .

القيصرة : أنها خطة مثلى وعهدي بسيدنا يعقوب انه يستطيع ذلك .

مريم : هذا رأي صائب وليقابل ملك الفرس وليطلب اليه العطف على ابناء الكنيسة في بلاده .

القيصرة : اوافق على هذه الخطة ، فانها خطة مثلى ، وبارك الله فيك يا اليصابات .

الاسقف : أشكر عطف سيدتي القيصرة ومحبة الابنتين الفاضلتين .

القيصرة : ليعلم السيد الجليل ان هاتين الاختين هما من اخلص بنات الكنيسة وهذان البطلان يوحنا وميخائيل هما من اشجع فرسانها .

الاسقف : باركم الله جميعاً وأجزل لكم الثواب ووفقنا لخدمة الكنيسة وصان سيدتنا القيصرة وسيدنا القيصر .

القيصرة : سننال البركة أيها السيد الجليل بدعائكم ودعاء اباء الكنيسة الذين

يناضلون في سبيل حقها .

يوحنا : بقي ان نعرف اين سيدنا مار يعقوب الآن .

ميخائيل : اين سيدنا مار يعقوب ؟ وهل يمكن يا يوحنا ان يعرف مكان النسر في السماء ؟

يوحنا : انا أعلم ان ذلك النسر يجوب الأقطار والأمصار ويشدّد العزائم ونشكر الله انه وفقه في الجهاد .

اليصابات : نرجو الا تخفي عنا سيدتنا القيصرة أعمال أبينا مار يعقوب ، اذ أنني متأكدة ان يكون قداسته متصلاً بجلالتها دائماً .

القيصرة : لا أخفي عنكم أيها الاحباء اخباره ، فمنذ بضعة أيام تناولت رسالة ضافية من يده الكريمة أرسلها مع أحد تلاميذه ، وفيها أخبار تثلج الصدور .

مريم : اذن هاتي يا سيدتي ، ولم اخفيتها الى الآن ؟

القيصرة : اخفيتها لآخذ المزيد منها وافرحكم ، أو لأفاجئكم بتلك الأخبار السارة .

ميخائيل : صانك الله يا سيدتي ، فكم لك من أياد بيضاء على كنيسة المسيح .

القيصرة : الايادي البيضاء يا ميخائيل ليست لي او اليكم ، بل لهؤلاء الجنود البواسل (تشير الى الراهب) الذين لم يذوقوا طعم الراحة أيام حياتهم كلها .

مريم : اخشى ان تخرج عن الموضوع ، فلتتفضل سيدتي القيصرة بما لديها من الأخبار .

القيصرة : ان الرسالة التي تلقيتها منذ بضعة أيام أعلمتني ان سيدنا مار يعقوب لا يمكث في مكان واحد معيّن ، بل يجول المدن والقرى والأمصار ويقوم بالرسامات الكهنوتية في كل موضع ، حتى امتلأت الكنائس كلها بالكهنة واخذت المراعيث حاجتها من الاساقفة .

اليصابات : أنه لميدان واسع ، وهل نستطيع أن نعرف البلاد التي جال فيها حتى الآن ؟

القيصرة : علمت ان ميدانه تناول بلاداً قاصية كثيرة ، فما عدا سورية جال في ارمينية وقبادوقية وقيليقية وايوربا وبمفيلية ولوقية وفروجية وقارية وآسيا الصغرى ومصر والنوبة والحبشة .

ميخائيل : ذلك عظيم جداً وكيف استطاع بذلك الجسم الضعيف ان يجول كل هذه البلاد ؟ .

القيصرة : أنه عمل ذلك بقوة الروح ، وقد علمت انه يقطع في اليوم الواحد اربعين ميلاً على قدميه الحافيتين ، دون ان يشعر بالتعب وهو صائم قانت لربه عازف عن كل شيء في الحياة ، الا خدمة الرب .

يوحنا : ان تلك القوة لعظيمة جداً ، وحقاً ان قوة الرب في الضعف تكمل .

القيصرة : ليس ذلك فقط ، بل علمت انه زار جزائر البحر أيضاً ، قبرص وردوس وخيوس وميطوليني ، ولا زال يكمل سعيه .

اليصابات : اذن أين نستطيع ان نجده الآن ؟

القيصرة : علمت أنه قبل بضعة أيام عاد الى الرها ، وسيمكث فيها زهاء عشرين يوماً ، وهل نستطيع في هذه المدة القليلة ان نبلغه الرسالة؟

الاسقف : نستطيع ذلك بكل تأكيد ، فأرجو ان تأمر سيدتي القيصرة

بكتابتها وأنا أحملها اليه بيدي .

القيصرة : إذن ليكتب ميخائيل هـذه الرسالة وليرفعها ، وأرى أن اوقعها أنا أيضاً .

يوحنا : إذن لتوقعها جلالة القيصرة وحدها ، وهل من حاجة الى توقيع ميخائيل ؟

القيصرة : أرغب ان يوقّعها ميخائيل وبعد ذلك اوقّعها .

ميخائيل : (يكتب الرسالة ويوقعها ثم توقعها القيصرة وتدفع للأسقف) .

القيصرة : هـــذه الرسالة يا سيدي ، أرجو ان يكون التوفيق حليفك في إيصالها ، واحمل تحياتنا الى القديس يعقوب .

الاسقف : أشكر عطفك أيتها القيصرة المعظمة وابقاك الله ذخراً للكنيسة كلها .

القيصرة : واحمل تحياتنا أيضاً الى جميع ابنائنا في مملكة فارس ، وارجو الله ان تزدهر الكنيسة هنا ولتكن أيها السيد شمعون عضواً صالحاً مفيدا في ذلك الجسم المقدس ، جسم كنيسة فارس الارثودكسية .
(يأخذ الرسالة ويخرج بعد ان يودع القيصرة والجالسين)

يسدل الستار

المشهد العاشر

النهاية

(تظهر تيودورة راقدة على سريرها وعندها مريم واليصابات ، وهي مريضة)

مريم : كيف حالك يا سيدتي في هـــذا الصباح ، ألم يطرأ تحسن على صحتك الغالية ؟

تيودورة : لا اظن يا مريم ، فالطبيب منذ نصف ساعة كان لديّ وقدشجعني ببعض الكلمات ، ولكنني لم ألمس في ملامحه ما يشجّع.

اليصابات : ربما يكون الطبيب مخطئاً يا سيدتي ، فالحمد لله أرى وجهك أحسن اليوم .

تيودورة : أنني اشعر بألم شديد يا اليصابات ، وربما تحسنت حالتي بحضوركما .

مريم : نأمل يا سيدتي أن يكون التحسن مستمراً ، وهل تأمرين بشيء نقدمه لك ؟

تيودورة : لا ، لا أستطيع أن اتناول شيئاً غير كأس من الماء فقط .

مريم : (تقدم لها كأساً من الماء) تفضلي يا سيدتي ولتكن به العافية .

تيودورة : العافية يا مريم ؟

مريم : كل العافية يا سيدتي ، وتشجعي فمنك كنا نستمد الشجاعة ، ما لي أراك خائرة في هذا النهار ؟

تيودورة : اذا خار جسمي يا عزيزتي فأن نفسي هي هي ولست اخشى شيئاً طالما عطفكما الى جانبي ، أواه .
ما اعزكما عليّ ، وكم رفعتما من بؤسي في الأيام القلقة التي مرّت .

اليصابات : لا شيء من ذلك يا سيدتي ، ونحن مدينتان لك بكل شيء .

مريم : ونسأل الله أن يمنّ عليك بالعافية لراحة سيدنا القيصر .

تيودورة : مهما شاء الرب فأنني مستعدة لقبوله ، وقد قمت بنصيبي من الخدمة ولم أقصّر يوماً ما في خدمة الله والبشر ، ولتكمل إرادته السامية .

اليصابات : أجل يا سيدتي قمت بأعظم الأعمال لخدمة الله والناس ، وبوجه أخص للكنيسة التي انجبتك ، فلا عدمناك خير ذخر في الملمات .

تيودورة : ان شيئاً واحداً يؤلمني يا عزيزتي الا وهو عدم استطاعتي انهاء المشكلات بين كنيستنا وبيزنطية .

مريم : ذلك لا يهم يا سيدتي ، فقد اتيت اعمالاً يتوقف اللسان عن وصفها عاجزاً ،وقد أثر صلاحك على سيدنا القيصر ، فعطف على اباء الكنيسة ورؤسائها ، ولكن هي إرادة الله فلم تدخري وسعاً في سبيل تلك القضايا الهامة .

اليصابات : والأعظم من ذلك ان جلالتك كنت العامل الأكبر في انعاش الكنيسة بعد تلك الاضطهادات المريرة ، وهذا يكفيك فخراً ويكفينا ذخراً .

تيودورة : لم اؤدّ الا شيئاً من الواجب يا عزيزتي ، وأرجو الله ان يمنحني الرحمة .

مريم : أدّيت وتؤدين كل شيء عظيماً يا سيدتي ، وسيسجل التاريخ اسمك

الكريم في انصع صفحاته .

اليصابات : وستذكرك بيعة الله السريانية بين المجاهدين ، بل سيكون اسمك الكريم بين منعشي آمالها .

مريم : الى جانب سيدنا مار سويريوس ومجاهدنا مار فيلكسينوس وراعينا الهمام مار يعقوب البرادعي .

تيودورة : ايجعل اسمي الضعيف بين عبيده الأمناء وهذا يكفيني .

مريم : اظنك يا سيدتي احسن حالاً من ذي قبل .

تيودورة : ربما .

اليصابات : نعم انك احسن حالاً ، ونرجو المعذرة فقد اتعبناك في الكلام .

(يفتح الباب فتدخل الوصيفة)

الوصيفة : سيدي القيصر (يدخل القيصر فتنهض مريم واليصابات للقائه) .

القيصر : كيف حالك يا تيودورة الآن ؟

تيودورة : بخير يا سيدي ، وأرجو ان أكون قد تحسنت بحضور اختيّ العزيزتين .

القيصر : أثني عليكما يا ابنتيّ العزيزتين ، وأرغب ان تمكثا بجانب تيودورة لأنها تجد راحة بقربكما .

اليصابات : ذلك ما يشرّفنا يا سيدي ، واننا بخدمة سيدتنا القيصرة ، وتحت أمر جلالتكم .

مريم : ليطب سيدي القيصر قلباً ، فلنا الأمل بالله ان التحسن باد على سيدتي القيصرة .

القيصر : ذلك ما نأمله من الله يا بنيتي .

تيودورة : انني أشعر بالنهاية يا يوسطنيان ، وما أريده منك كزوج وفي أن تكون ذاكراً ما قمت به من الخدمة لعرشك ومملكتك .

القيصر : (يضع يديه على عينيه ويصمت هنيهة) لا ، لا يا تيودورة ، فانك بحالة جيدة والحمد لله ، وآمل لك الشفاء العاجل ، وسيكون يوسطنيان عند حسن ظنك .

تيودورة : هذا أملي فيك يا سيدي .

القيصر : ان أعمالك المبرورة للعرش والمملكة لا يمكن ان تنسى يا تيودورة وهل وجدتني يوماً مقصراً بتقديري تلك الأعمال ؟

تيودورة : لا ، لا لم أجدك كذلك يا سيدي ، ولكن أخشى ان أذهب للقاء ربي واولئك الوشاة كثيرون ، وربما يحدث ما لم يكن بالحسبان .

القيصر : ذلك بعيد جداً يا تيودورة ، فحكمتك السامية وصلاحك وتقواك أمور سجلتها في أعماق قلبي ، وهذه مملكتي مدينة لحكمتك البالغة وشجاعتك المنقطعة النظير ، وهل من كان مثلك ينسى ؟ لا ، لا .

مريم : ما رأي سيدي القيصر باحضار الطبيب ليراها مرة أخرى ؟

القيصر : ليحضر الطبيب يا بنيتي ، وأعتقد ان تيودورة في طريق العافية .

تيودورة : ولم الطبيب وأني أشعر بأن النهاية المحتمة قد دنت .

القيصر : أرجو ان لا تفكري بهذا يا تيودورة ، فليست الا مزنة صيف وستذهب ان شاء الله .

مريم : لا تفكرن بسيدتي القيصرة ، فقد كتب الخلود على جبينها الوضاء .

اليصابات : أعتقد ان سيدتي بحاجة الى راحة ، ونحن قد اكثرنا الكلام .

تيودورة : أنني مرتاحة يا عزيزتي وسأرتاح تلك الراحة الـتي اطمح اليهـا منذ عهد بعيد .

القيصر : سأخرج الآن وابقيا أيتها العزيزتان الى جانب تيودورة ولا شك انها ترتاح بوجودكما .

مريم : أمر سيدنا القيصر على الرأس والعين، وسنؤدي كل خدمة لراحتها.

(يخرج القيصر ولا زال ينظر الى الورآء بعينـــين مغرورقتين بالدموع ، وتبقى مريم واليصابات صامتتين ، وتلقي تيودورة رأسها على الوسادة وتغمض عينيها) .

مريم : (بصوت خافت) أنها نامت يا اليصابات .

اليصابات : دعيها ترتاح قليلاً (تتقدم مريم وتنظر الى عينيها وتمسك بيدها) .

مريم : ان نبضها طبيعي يا اليصابات .

اليصابات : دعيها فقد اتعبناها كثيراً (تصمتان وتنظران اليها) .

مريم : (بهدوء) واحسرتاه عليك يا تيودورة ، ما اجلّ امانتك ومـا اوفاك بالعهود .

اليصابات : أجل أي قلب في صدرك يا تيودورة .

(تصمتان هنيهة وتفيق تيودورة)

تيودورة : لا زلتما هنا أيتها العزيزتان ؟

مريم : أننا هنا يا سيدتي وسنبقى الى جانبك حتى يمنحك الله العافية .

تيودورة : بل حتى يقضي الله امراً ...

مريم : أرجو ان ترتاح سيدتي

اليصابات : (تقدم لها كأساً من الماء فتشرب منه قليلاً ثم تعيده اليها) أظنك احسن يا سيدتي .

تيودورة : نعم أنني أحسن من ذي قبل ، فتقدمي يا اليصابات لأقبل جبينك قبلة الوداع الاخيرة (تتقدم اليصابات وهي تبكي) وتقدمي يا مريم أنت ايضاً (تتقدم فتقبلها بجبينها ، ثم تقبلان يديها وتبكيان) .

مريم : أرى سيدتي مضطربة أرجو أن ترتاح ، فلا شيء مما تفكرين .

تيودورة : (تنظر اليهما نظرات العطف) ان كل شيء انتهى أيتها العزيزتان واستودعكما الله ، ولتكن المملكة بخير والكنيسة بسلام ، عاش سيدي القيصر .

(تغمض عينيها بعد أن يستلقي رأسها على الوسادة فتنهض مريم واليصابات اليها)

يسدل الستار

(يفتح الستار فيرى القيصر يحف به يوحنا وميخائيل واليصابات ومريم والجميع واجمون) .

القيصر : انتهى كل شيء أيها الأعزاء ، وهذه تيودورة المحبوبة ذهبت لقاء ربها حاملة معها اعمالها الصالحة وجهادها الجبار وحكمتها السامية ، واحسرتاه عليك يا تيودورة .

يوحنا : (وهو يبكي) أجل واحسرتاه عليك يا ينبوع الحكمة ، يا من كنت عطفاً مجسماً وحباً لا يوصف .

ميخائيل : وهذه المملكة التي خدمتها بوفائك واخلاصك وشجاعتك ، ستفقد

فيك قلبها النابض وعينها المنيرة ، واحسرتاه عليك يا سيدتي .

يوحنا : هل يأمر سيدي القيصر بأن يخرج الى الشرفة ويرى الجماهير التي هلعت للنبأ الصاعق ؟

القيصر : لم الخروج يا يوحنا ، وهل تظن ان زوبعة ثارت على البلاط وصدر تيودورة الجبار ينفتح لسهام الثائرين ؟
أواه ... أنها كانت قلعة جبارة راسخة ، فلم ترهبها تلك الزوابع القاسية ، وان يوسطنيان لمدين لها بكل شيء .

ميخائيل : أظن ان سيدي القيصر يجب ان يرتاح فقد انتهى كل شيء ، وأمر الله لا مردّ له .

القيصر : نعم يا ميخائيل أمر الله لا مرد له ، ولكن هل تعلمان بماذا أفكر الآن ؟

يوحنا : طبعاً يفكر سيدي القيصر بهذه الكارثة العظمى التي حلّت ببلاطه في هذا النهار .

القيصر : ذلك صحيح يا يوحنا ،ولكن يجب ان يحتل جثمان تيودورة الكريم أجمل بقعة في المملكة وفي تلك الكنيسة القديمة حيث كانت تطيب لها الصلاة .

يوحنا : نعم كم رأيتها هناك ياسيدي جاثية أمام المذبح المقدس وهي تسكب قلبها أمام الله ، ولا سيما في الأيام التي كان سيدي القصر في ساحات الحروب .

القيصر : أنا أعلم يا يوحنا ان تقوى تيودورة وفضائلها هي التي صانت عرشي وبلادي . وهذا ما يؤلمني عندما تركتني وحيداً في هذه الحياة ،

وقد بلغت هذه الشيخوخة

ميخائيل : لا يجزع سيدي القيصر المعظم فوان رقدت سيدتي تيودورة، ستكون شفيعة لجلالته في عالمها الجديد ، وأمام ربها الذي خدمته بكل حب واخلاص .

القيصر : ذلك ما يخفف عني هول المصيبة يا ميخائيل ،والآن انتهى كل شيء .

يوحنا : اللهم أسألك ان تكون تيودورة الجليلة بين قديسيك .

ميخائيل : وبين اصفيائك الذين أرضوك بأعمالهم الصالحة .

القيصر : بل في مقدمة القديسين لأنها كانت فضيلة مجسمة وتقوى لا توصف. عطّر الله روحك يا تيودورة العزيزة .

يسدل الستار

< >

رجل وامرأة يصنعان التاريخ

أما الرجل فهو سويريوس ، حفيد الاسقف وتلميذ الاسكندرية في النحو والبيان واللغتين اليونانية واللاتينية وخريج كلية الحقوق الرومانية في الفلسفة والقانون ، وبطريرك انطاكية العظيم .

وأما الامرأة فأنها تيودورة ، ابنة قسيس منبج وقيصرة بيزنطية السريانية الارثوذكسية .

وأما التاريخ فأنه تاريخ فترة تنبض فيها الحياة ويلتمع فيها الضياء في احلاك الليالي الدامسة ، جاهدت في سبيل حريتها الفكرية ، وناضلت في سبيل الشرف والكرامة ، واستشهدت في ساحة المجد والسؤدد ، حتى نمت فيها الحياة ، وكتبت لذاتها الخلود بالدموع والدماء ، هي الفترة السريانية ، ام العلماء الاحرار ، ومربية الفلاسفة والملافنة الخالدين .

★★★

النصف الاول من القرن السادس الميلادي ، فترة تمخض فولادة ، وموت فحياة ، وثورة فانتصار ، بالنسبة الى الكنيسة السريانية ، والتاريخ ، ... تاريخ هذه الكنيسة ، هو قصة الكرمة الرسولية في هذا الشرق العزيز ، عندما هبطت عليها فؤوس بيزنطية تقطع اغصانها ، وتلقي باوراقها الخضراء الى النار ، فتجف ثم تحترق ، ولم يبد ضحى هذه الفترة ، الا والكرمة القديمة تسير نحو الموت بخطوات متثاقلة ، ولكننا نرى رجلاً أعزل يندفع كالزوبعة الجبارة ، فيطرد عنها الثعالب الفتاكة ، ويحمل لها غذاء الحياة من قلبه الخصب الكبير ، ويسقيها ماء النعمة ، من ينبوع عقله الغزير ، فتورق من جديد وتنتعش . . . ذاك هو

سويريوس البطريرك الجبار والمنقذ الأول لكرمة المسيح السريانية .

وما هي الا برهة قصيرة واذا بنا نشاهد امرأة تحيطها العظمة ويحف بها الجلال ، تلقي نظراتها الى كرمة جدودها ، من أعلى صروح بيزنطية ، ثم تغادر الصرح الطموح فتفتح الجداول الهدارة لدوحتها الكريمة ، فتشرب وتشرب بعد ظمأ قاتل وعطش مذيب ، فتعود الى الزهو والاخضرار ، وتتدلى منها العناقيد اليانعة ، مملوءة بعصير الخلود .. تلك هي تيودورة القيصرة المحبوبة ، والمنقذة الثانية لكنيسة المسيح الارثوذكسية .

⋆⋆⋆

فلنبحثن اذاً في مسارح ذلك العصر المعقد ، وفي قممه العالية ، عن سويريوس البطل ، وعن تيودورة الجبارة ، وعن تاريخ صنعاه بعبقريتهما ، وعطراه بأنفاسهما ، وكتبا سطوره بدموعهما وبدمائهما .

فلنبحثن اذاً عنهما . .

اين هو سويريوس ؟؟

في سنة ٤٨٨ كنت ترى فتى في الحادية والثلاثين من عمره ، ينال العماد المقدس في بيعة طرابلس الشام ، تزينه الحشمة ، ويجمله الوقار ، وفي مطاوي قلبه شعلة وضاءة من العلم والفضيلة والهدى ، وعلى محياه النبيل شعاع الفتوة والشجاعة وفي عينيه بريق الحكمة السمحاء ، ولمعان المعرفة العذراء ، ذلك هو سويريوس التلميذ الأمين للمسيح ، ومعلم الكنيسة العظيم .

وبعد الآن أين تريد أن تجد سويريوس ؟؟؟

انه يكتب الفصل الاول من التاريخ ... ويستعد لخوض حرب سجال ،

انه الآن في دير مار رومانس ، في بلدة مايوما بفلسطين ، يحني كتفه لحمل عبء ثقيل ، ويفتح صدره لنبال الحياة ، فيدرّعه بالايمان والفضيلة ، ويصفحه بالتضحية والشجاعة ، ليكون مستعداً في اليوم العصيب .

انه ينشىء عريناً في الصحراء ، وهو ديره الجديد ، فيحيل المحل خصباً ، والرمل ذرات حية تفيض قداسة وعلماً وعرفاناً ، أربع وعشرون سنة تمر ، كمرور الطيف ، وسويريوس في المحبس العذب الجميل ، وحوله عشرات الفتيان بل مئات يتجمعون من كل حدب وصوب ، كما يتجمع النحل حول زهرة عذراء يشربون منه رحيق الحياة المثلى .

ولم كل ذلك ؟ انه يكتب الفصل الأول من التاريـــخ ويستعد لخوض حرب سجال .

وهذه سنة ٥٠٨ يخرج الأسد من العرين ، فيرمي بنفسه في المعركة ، الاولى ، دفاعاً عن الحق وذوداً عن الحرية ... أنها البطولة . أنها الشجاعة . يخرج سويريوس من الدير محبس التقوى والزهد والفضائل وحوله مئتا راهب ، يندفع بهم الى عاصمة المملكة ليذود عن الايمان وينصر المعتقـــد القويم ، ثلاث سنوات يناضل ويناضر ثم يعود الى العرين .

ولم كل ذلك ؟ انه يكتب الفصل الثاني من التاريـخ ويخوض المعركة الأولى من الحرب السجال .

وبعد الآن أين تريد ان تراه ؟ أنه في الذروة العليا يمد ببصره الى الابعاد الشاسعة فينظر الآفاق البعيدة ، وقد احمرت كما تحمر السماء عند الاصيل ، وسويريوس في العرش الرسولي جاء مثل سيده ليخدم لا ليخدم ، ويبذل نفسه عن الرعية ، وهو اليوم السادس من تشرين الثاني عام ٥١٢ ، فينطق الروح القدس كلمته الخالدة لترفع سويريوس الى الذروة الرسولية ، فيصبح بطريركاً لانطاكيا وذائداً عن

الحملان الوديعة ، والمنتشرة في الشرق كله ، سويريوس الراعي الأمين يعرف رعيته ورعيته تعرفه ، وما أجمل التلميذ اذا أشبه سيده العظيم ، الرعية منتشرة في كل مكان ، من بلاد فارس الشرقية حتى بحر الروم ، ومن بيزنطية حتى بلاد الاساود ، وكلها آذان صاغية لصوت الراعي الجليل ، انه الآن على منبر انطاكية وصوته العذب يجلجل في الآفاق ، معلماً تواضع المسيح ووداعته ، وناشراً بشرى الخلاص ، ومعداً قلوباً ملؤها الشجاعة والاقدام بالثبات أمام وجه الطغيان . ومهيئاً نفوساً قوية شامخة كالجبال الراسيات ، لتواجه زوابع الشر وعواصف الهلاك وهي ثابتة لن تتزعزع ، لأن أبواب الهاوية لن تقوى عليها .

ست سنوات تمر كالبرق السريع ، واذا برعية سويريوس مستعدة لكل طاريء ، وبيزنطية تكشر أسنانها تريد تحطيم الضلوع ، الا انها تبوء بالفشل أمام الشعب الجبار الثابت العزيمة ، الذي أعده سويريوس ، وعلمه التضحية والجهاد ، بل علمه الموت في سبيل الحق .

وبعد الآن أين تريد ان ترى سويريوس ؟ فأنها سنة ٥١٨ يموت أنسطاس قيصر بيزنطية فيخلفه يوسطينوس ، ذلك القيصر الجبان الذي لم يعرف حق الرعية ومنذ اللحظة الأولى لملكه القاتم انقلب الى وحش جائع وراح ينشب مخالبه الجهنمية في صدور تلاميذ المسيح ، ويبددهم تبديداً ، ولو استطاع لشرب تلك الدماء البريئة بحفنته المليئة بالغدر والشر والعدوان ، فأصدر أوامره الظالمة وراح يبعد الاساقفة عن كراسيهم ، ويملأ بهم السجون كالمجرمين ، ويبعث غيرهم الى المعتقلات والمنافي ، كالخارجين على وجه العدالة ، لا لذنب أتوه ، بل لتمسكهم بالحق الأصيل والمبدأ النبيل ، كل ذلك وقلوبهم تطفح بشراً وسروراً ، لأنهم نالوا حظ الشهداء الخالدين .

فأين الآن سويريوس ؟ وقد تنمر له يوسطينوس ، هو بطريقه الى مصر

ليقف هناك ركناً لا يتزعزع (بتوبّم لأيادي المسترخية ويشدّد الركب المخلعة) وينفخ في ابطاله روح العزة والشرف والكرامة ، وذلك برسائله العجيبة التي كانت بوقاً مدوياً أحالت القلوب اللحمية قلاعاً راسخة لا تنثني ، وجعلت من اولئك الرجال الضعفاء الجسوم أبطالاً يعرفون معنى الجهاد ، كل ذلك وصوت الراعي يهدر كالريح القوية فيصل أسماع اساقفة ورؤساء اساقفة وكهنة وشمامسة ونبلاء الناس واشرافهم ، صادراً رسائل متتابعة يعسر احصاؤها ، وقدرها الأقدمون بأكثر من ثلاثة آلاف وثمنمائة رسالة جمعت في ثلاثة وعشرين مجلداً ولا زالت معظمها بين يدينا ، بل لا زال صوت الراعي الجبار يتردد في اسماعنا .
واذاك لا زلت ترى سويريوس في محبسه بمصر ، وصرير يراعه يهيج قلب الليالي الهادئة ، فيؤلف الكتاب تلو الكتاب ، ويبعث بها الى أنصار الحق ، ويأتي بكل جليل في العلم والدين والأدب ، فتبلغ مؤلفاته مكتبة كاملة حوت بين مطاويها علماً وهدياً وعرفانا .

وبينما سويريوس في غمرة الجهاد ، واذا بالقيصر يوسطينوس يرحل الى الأعماق فيخلفه ابن اخته يوسطنيان الأول فيناسب الشريان ويتخذ له تيودورة ابنة قسيس زوجة ، ويجلسها الى جانبه على العرش ، ويزين مفرقها بتاج الملك ، ويجد فيها كنزاً من الحكمة والعبقرية ، فيطلق يدها في تصريف الامور .

يرى سويريوس في الافق بريقاً فأبنته تيودورة في دست المملكة وحولها آمال عذاب ، وفي قلبها وفاء تحتاجه كنيسة سويريوس المضرجة بالدماء .

فأين الآن سويريوس ؟ انه يكتب الفصل الثالث من التاريخ العجيب ويخرج من المعركة الثانية للحرب السجال ، وعلى رأسه أكليل الشرف والثبات وفي يده الرسولية صولجان العزة والقوة ، والمسيح رئيس الرعاة يشدد عزائم ابنائه ويضم اسماءهم الى سجلات ابطاله .

الامبراطورة تيودورة مع وصيفاتها نقشت بالفسيفساء على جدار كنيسة قديمة

أنه فصل جديد من ذلك التاريخ الشريف ،وهو فصل الانتصار يكتبه سويريوس ولا زال في زاوية من زوايا محبسه الضيق ، يكتبه على ضياء شمعته الشاحبة ، ولكنه يسعفه بنور قلبه المتألق .

وأول بادرة صالحة تظهر على أثر جلوس يوسطنيان، هي أبطاله الاضطهاد ، ووضع الحد للمآسي الدامية التي مثلها خاله يوسطينوس على مسرح المسيحية في الشرق ، فيصدر يوسطنيان أوامره العاجلة برجوع المنفيين الى أوطانهم (١) ما عدا الذين في العاصمة ، وهؤلاء ضمتهم تيودورة الى قصرها هورمزدا وبذلت لهم عطفها ورعايتها (٢) .

اما سويريوس فتضطرب فيه الآمال ، وبينما كان يفكر بأنتهاء الاضطهاد واعادة المنفيين من جهة ، وبغطرسة بيزنطية من جهة ثانية ، اذا به يتلقى رسالة الملك يوسطنيان مشفوعة باخلاص ابنته تيودورة (٣) ، وهما يطلبانه الى العاصمة لبحث وحدة الكنيسة ، الا ان آمالها ضعيفة بهذه الوحدة ، لعلمه ان بيزنطية لن تنزل عن غطرستها ، ولكنه صوت الابنة البارة تيودورة ، لم يرد سويريوس ان يخيب آمالها ، ففي سنة ٥٣٥ يحضر متجشماً عناء السفر الشاق الى العاصمة .

انه الآن في العاصمة فيأمر القيصر باجتماع اساطين كنيسة بيزنطية بالبطريرك العظيم . وبحضور القيصر نفسه ، فتتوالى الاجتماعات وتدور المباحثات ثمانية عشر شهراً كاملاً ، وكان سويريوس هو المتفوق على الخصوم بقوة حجته وغزارة مادته ، الا ان بيزنطية ظلت متمسكة بكبريائها فمنيت تلك الاجتماعات

---

(١) ميخائيل الكبير ص ٢٧٨ - ١ (٢) فيه ص ٢٧٨ — ١
(٣) فيه ص ٢٨٠ — ٢ و ٢٨١ — ١

بالفشل الاسود ، وتحققت احلام البطريرك بلؤم بيزنطية وخرق سياستها .

كان البطريرك الجليل يقضي اوقات فراغه في قصر هورميزدا الى جانب ابنته تيودورة ، وانتيموس بطريرك القسطنطينية الذي علم مكانته العلمية وفضائله الرسولية ، تاق الى الاجتماع به ، وسويريوس يعلم ان انتيموس في الجانب الآخر وحدثنا مار ميخائيل الكبير عن اجتماع البطريركين ونتيجته قال « علمت القيصرة تيودورة بشوق انتيموس ، فأظهرت رغبتها بعقد الاجتماع بين البطريركين ، ومهّدت له ، فوافق القديس سويريوس ، ودخل انتيموس عليه فانحنى احتراماً للزميل العظيم فأذن له الزميل بالصلاة اشارة الى مشاركته شعوره الروحي ، وكان القديس سويريوس لا يصلي مع المخالفين ، وهو الحارس الأكبر للارثوذكسية ، ولما انهى انتيموس صلاته قال له سويريوس ـ اني أكبر فيك الصيت العطر الذي رفعك الى مصاف الملائكة ، وأصلي لكي يتجمل صيتك بالايمان القويم ، الامران اللذان يكوّنان انسان الله ، فاذا تجرد أحدهما عن الآخر ، فانه يكون عديم الجدوى ـ فشعر الشيخ القديس انتيموس بأنه يعاتبه فقال أنني لم اوافق على عقيدة المجمع الخلقيدوني الا بعد طرده نسطور واوطيخا ـ قال له الملفان ـ اذا كنت تعتقد ان ذلك المجمع طرد الهراطقة فمن الضروري ان تؤمن إيمانه ، ولكن من كان يحوز أيماناً حقيقياً وتعليماً سليماً يستطيع توبيخ غيره على حد قول الرسول بولس ـ ثم خاطبه بأمور أخرى كثيرة وأردف يقول ـ ان من لا يحوز ايماناً حقيقياً لا يستطيع ان يوبخ أو يطرد غيره ، والذي احتقر أيمان بطرس ، فقد تجرد من السلطان الذي أعطي لهامة الرسل عندما اعلن إيمانه بقوله ، « أنت هو المسيح ابن الله » فاذن المجمع الذي انكر ايمان القديس بطرس ليست له الصلاحية ان يمارس سلطانه ، وليست له القوة ان يربط ويحل ويطرد ـ ولما سمع انتيموس ذلك أطرق مقتنعاً فودع صديقه وخرج وترك كل شيء ، الكرسي ،

والعرش ، والمجـــد الباطل ، وانضم الى المضطهدين (١) ، فنقل الى قصر هورميزدا .

يخرج القديس سويريوس منتصراً ، ويخيب آخر آماله في الاتحاد ، فيعود الى محبسه الضيق في مصر لينهي جهاده الرسولي ، وبعد سنة ونصف من رجوعه يحوز اكليل الظافرين ويذهب الى ربه سنة ٥٣٨ .

وبعد الآن لنبحثن عن تيودورة وجهادها ، فأين هي ؟

أنها في مدينة منبج ، بين أحضان التقوى وخمائل الفضائل ، تجمع لهــا من روضة الحياة ضمامة عطرة ، وتعد لعنقها عقداً من المكارم والمفاخر ، وتكتب عنوان تاريخ مجيد ستسجل في صفحاته قصة جهاد شاق ، وبطولة سامقة .

ثم تمسك اليراع فتكتب الفصل الأول من ذلك التاريخ اللامع ، فتبهر فضائلها وشمائلها القيصر يوسطنيان فيرفعها الى السدة الملكية العليا ، وهي الآن الساعد الايمن لهـذا القيصر الذي انطبعت في قلبه آثار وهاجة من حكمـــة تيودورة ودهائها .

الامبراطورية ليوسطنيان ، والانتصارات بأسم يوسطنيان ، ولكن الخطط المثلى تعدها حكمة تيودورة فيبني بهــا القيصر صروحاً باذخات من المجـــد والظفر والسؤدد .

هوذا عرش يوسطنيان في مهب الزوابع ، ويد تيودورة الشجاعة تردّد الزوابع والعواصف مندحرة خاسرة فتصون العرش ، وتؤيد التاج وترفع في السماء الواسعة ذياك الصولجان — هذه حكمة تيودورة في الامبراطورية ،

(١) فيه ص ٢٨١

وهذه شجاعتها في الممات ، وبذلك تكتب الفصل الثاني من قصة البطولة والشجاعة والخلود .

اما الفصل الثالث والاهم ، فتكتبه بين جدران الكنيسة ، كنيسة الآباء، وتراث الجدود الصالحين ، فهذا ظلها الوارف على الكنائس والديورة ، وهذه يدها توقف العنف والاضطهاد عن ابناء الكنيسة الجامعة الرسولية .

تيودورة تنفخ الشجاعة والقوة في ابناء الكنيسة فتتألف منهم الاطواد الشامخات لتقف أمام زوابع بيزنطية المجنونة .

وأين هي بعد ذلك ؟

أنها في قصرها (هورميزدا) وقد جمعت اليها خمسمائة من صلحاء الارثوذكسية تطعمهم العطف البنوي ، وتسقيهم الحب والحنان ، وتمسح بيديها الملكيتين عرق جبينهم ودموع عيونهم ، وبعد ذلك ماذا تريدها ان تعمل ؟

أنها تنحني أمامهم خاشعة ، وتقبل منهم تلك الايدي التي جففها الزهد ، وغضنها القنوت ، وجعدها العمل والعناء والجهاد ، هذه تيودورة المؤمنة تكتب الفصل الاهم في قصة تاريخ التقوى والفضيلة .

وهذا قصرها منتدى لرؤساء الكنيسة وأحبارها ورهبانها فانظرها جالسة بين يدي سيدها المحبوب مار سويريوس تسمع منه الحكمة السماوية . وتمد يدها اليه فيكتبان سوية تلك الفصول الرائعات في تاريخ المجد والسؤدد والشجاعة . ويتهلل قلبها سروراً عندما ينضم الى صف المجاهدين انتيموس ، فتجتمع الى بطاركة الارثوذكسية الثلاثة ، وتمد يدها الكريمة لتضميد جروحهم وتخفيف آلامهم . أجـل تبارك قصرها الباذخ بالقديسين الثلاثة ، سويريوس الكبير بطريرك انطاكية ، وانتيموس بطريرك القسطنطينية ، وثاودوسيوس بطريرك الاسكندرية

هذه هي تيودورة العجيبة بانية المجد الارثودكسي ، ومؤيدة الايمان القويم .

وماذا بعد ذلك ؟

يد ناعمة « تقطر مراً مائعاً » تذلل المشكلات ، وتمهد السبل والعقبات ، وهذه هي بعد رقاد سيدها سويريوس تحاول بناء صرح جديد لكنيسة المسيح السريانية ، فهذا الحارث بن جبلة الغساني بين يديها ، والبرادعي وتيودور العربي فيتم الاتفاق على بناء الصرح الجديد من تبر قلب كبير ، هو قلب تيودورة الشجاعة . وما هي الا أيام ، واذا بالصرح يبنى ، والارثودكسية في حرز حريز فيخرج يعقوب ابن القس تيوفيل يجوب المدن والأمصار يشدد ويثبت ويبني أسواراً باذخات للكنيسة المحبوبة .

هذه هي يد تيودورة المباركة المليئة بكل خير وسؤدد لكنيسة آبائها الصالحين ...

وبعد هذا أين تجدها ؟

أنها في قصرها الريفي ، وهذا يوحنا الآمدي (الافسسي بعد ذلك) بين يديها تشجعه على المضي في الجهاد وتعينه لنشر الانجيل بين البرابرة ، ليصوغ منهم أناساً صالحين ، فيتلمذ ثمانين الفاً ، ويبني مئة دير وكنيسة ، وتيودوره تمده بالعوارف الغزيرة ، وتؤيده بالقوة والشجاعة .

أنها تستقبل يوحنا ابن افتونيا ، باني صروح العلم في دير قنسرين ، وهذه أخبار ديره الذي أصبح ينبوعاً للعلوم والآداب والفلسفة واللاهوت ، تشنف آذانها ، فهذه موسيقاها المحببة ، أخبار رياحين العلم والتقوى ، وأزاهير الجهاد والفضيلة ، في روضة آبائها المحبوبة فكيف لا تسقيها بماء قلبها العذب الغزير .

وهذا شمعون الآرشمي يأتيها من أقصى بلاد الفرس ، وقد بلغته أخبار

تقواها وجهادها في سبيل الكنيسة ، وكنيسة فارس السريانية تحت وطأة ثقيلة من الارهاق والاضطهاد ، وهي ذلك الجزء المحبوب على قلب تيودوة ، وقدعزت عليها أخباره ، فتنفخ في الارشمي القوة وتعطيه الشجاعة ، وتعده برفع شأن الكنيسة اذا أراد الله ذلك ، فيعود وينتظر ، ولكن يد تيودورة لم تصل الى بلاد الفرس لتنفخ الكنيسة القوة والشجاعة ، فوق المواهب السامية التي كان يتمتع بها ابناؤها المجاهدون في ذلك الجو الخانق ، الا ان الله يريد أن يسعدها حتى في قبرها ، كما يريد ان يبهج الآرشمي بعد رحيله عن الحياة ، فيذهب القديس البرادعي الى تلك الربوع ، ربوع دجله الكريمة ، ويعيد الحياة هناك الكنيسة تصوحت فيها الحياة .

الى هنا ينتهي مداد القلب الكبير ، فيتوقف عن الكتابة ، بعد ان ملأ المجلدات الخالدات بتاريخ البطولة والقوة والايمان .

هذان صنعا التاريخ ، تاريخ المجد والقوة والجهاد للكنيسة السريانية ، هذان هما ، سويريوس الكبير البطريرك الخالد وتيودورة العظيمة ابنة قسيس منبج ، وقيصرة بيزنطية ، فأين ذلك التاريخ ؟

ان صفحات ذلك التاريخ العجيب منشورة في هذا الشرق الواسع ، وكل صفحة منها تحمل هذين التوقيعين الكريمين ، توقيع البطريرك سويريوس الكبير ، نقشه على كل منها بمداد مهجته ، وتوقيع القيصرة تيودورة ، نقشته بمداد وفائها واخلاصها .

انه تاريخ الشجاعة والتضحية في سبيل الحق ، اذ وقفت هذه الأمة المرهقة أمام تيارات بيزنطية وقوف الجبال الراسخات وقفت برؤساء احبارها واحبارها ورهبانها ورجالها ، الذين تعلموا التضحية والجهاد من ذينك البطلين الكبيرين ،

فعمهم الوعي وعي الضمير ، وشملتهم اليقظة يقظة الغيرة ، وكأني بكل منهم يردد قول داود النبي « غيرة بيتك اكلتني »

ولا بدّ أنك أيها القاريء العزيز تريد تصفح ذلك التاريخ العجيب ، فهيا معي وهذه الصفحات أمامنا منشورة ، وهذه سطورها الدامية تحمل كل مكرمة ومفخرة (١) .

فالى أين تريد ان نذهب الآن ؟ لنذهبن أولاً الى السجون والمنافي والمعتقلات حيث سنجد شيوخاً بلغوا من العمر عتياً ، قد وضعوا هناك لتمسكهم بالحق ، والى جانبهم كثيرون من الشباب الذين تفيض قلوبهم الغضة بالحماسة والغيرة هذه نظراتهم النارية تترجم عما في نفوسهم من الثبات والعزة والقوة ، وهذه ملامحهم الهادئة المطمئنة بشيرة بإيمان راسخ وتقوى وفضيلة ، تسكن في تلك النفوس الابية ، لا تذمر هناك ، غير الثورة على الظلم والطغيان ، ولا حديث غير حديث الموت في سبيل المباديء القويمة ، وربما نجد ان في كل يوم تفيض روح من تلك الارواح الطاهرة صاعدة الى ربها ، شاكية لله عسف بيزنطية الطاغية ، وقد دمرها الله . وكلما رقد أحد اولئك المعترفين ، كان يتجدد الايمان في تلك القلوب ، ويفيض الحماس في تلك النفوس ، ويتجدد قرارهم بالمضي في الدفاع عن الحق حتى النهاية .

هلم الآن لنرى تلك المؤتمرات التي عقدها قياصرة بيزنطية لاخضاع المجاهدين لضلال انكرته نفوسهم الأبية ، فانك ترى مئات من الاساقفة والرهبان وفي فم كل منهم لسان دونه الاحدب البتار ، وعلى كل منهم ، مسوح تحمل آلام جهاد شاق . لذلك تراهم يدافعون ويناضلون في سبيل مبدأهم القويم (٢) . وانك

---

(١) ميخائيل الكبير ص ٢٦٦ — ١ (٢) فيه ص ٢٨١ — ١ .

لترى بعد ذلك الوفا من المجاهدين رجالاً ونساء يتجمهرون أمام بلاط يوسطنيان ويرفعون أصواتهم كالرعود القاصفة محتجين على تلك المظالم الوحشية . الأمر الذي يؤثر في القيصر تأثيراً عميقاً ،وما زالوا على تلك الحال حتى اغمي على كثيرين منهم ، ودموعهم تتساقط على رصيف تلك الساحة الواسعة ، حتى بكى الملك وعظماؤه أشفاقاً عليهم (١) .

لم تكتف بيزنطية بذلك ، بل كانت تموه الحق وتتظاهر بحب السلام بين الكنائس ، لذلك نراها تدعو الى عقد المؤتمرات المتواصلة ، والاجتماعات الجدلية الامور التي اضعفت شأنها وجعلتها تتصرف الى القشور وتترك اللباب . واليك مشهداً من تلك المشاهد الهزلية التي مثلتها بيزنطية على مسرح المسيحية في الشرق فانظرها تدعو الوفا من الجنود في جيشها ، وهم ارثودوكسيون ، ويقف الملك بهم خطيباً يريدهم على ترك مباديء كنيستهم ، اما هم فيصعدون ، ومع احلالهم لهيبة القيصر يقولون - أننا يا سيدي رجال تعودنا الحرب وليست لنا خبرة في الجدال فدعنا وشأننا واكتف باخلاصنا العسكري في سبيل امبراطوريتك . ثم نجد القيصر نفسه يجمع مئات من العلماء والمنطقيين واللاهوتيين ويجادلهم بذاته ، وكان يظن ان لا أحـــد يستطيع التغلب عليه في حومة الجدال ، ولما تكلم اولئك المناضلون واندحر القيصر ، أطرق ساكتاً وكان جلالته يطيل تلك الاجتماعات الجدلية مدة سنة كاملة ، ولما رأى المناضلون ان ذلك مضيعة الوقت ، ولا فائدة منه ، استأذنوا وعاد كل منهم من حيث أتى ، ويختم المؤرخ مار ميخائيل الكبير هذه الحادثة بقوله « ان هذه الأمور تدعو الى الفخر والاعتزاز للمجاهدين الذين نالوا اكليل الظفر في ساحة الجهاد والثبات » (٢)

(١) فيه ص ٢٨٥ — ١ (٢) فيه ص ٢٨٦ — ٢ .

ولا بدّ لك أيها القاريء العزيز من الاطلاع على الاضطهاد الوحشي الذي اثارته بيزنطية على هـؤلاء المؤمنين بواسطة اذنابها من بطاركة مزيفين وأساقفة خلعوا العذار وطرحوا التقوى جانباً ، فهذا مثلاً افرام الآمدي البطريرك المجرم في عهد يوسطينوس يولي وجهه نحو الشرق حاملاً في نفسه حقـداً دفيناً ، فيطلق يده بمساعدة أحد اساقفته المدعو ابراهام بن كيلي مطران آمد ، فيغزوان بثلة من جيوش بيزنطية أديرة الرهبان ، ويبددانهم كما تبدد الطيور الجارحـة اوكار الحمام الوادع ، ثم يهاجمان القرى فيصليانها ناراً حامية يهدمان الكنائس ويشتتان الكهنة ، ويستأصلان الأديرة ، ويقترفان فظائع دامية عجز عنها نيرون وخلفاؤه في عهد الوثنية المظلم . ويقف اليراع جامداً أمام تلك الفظائع البربرية التي اقترفها افرام الآمدي ضد أبناء الكنيسة (١) .

واذا وضعنا هذه الفظائع الى جانب الفظائـع التي اقترفها يوحنا السرمي بالارثودكسيين ، وجدناها عنواناً لها فقط ، لأن فظائع السرمي لا توصف ، بل يندى لها جبين التاريـخ ، فنحيلك الى يوحنا الافسسي الذي كتبها وهو شاهد عيان وأحد اولئك المظلومين (٢) .

كانت هذه المآسي الدامية تتمثل على مسرح التاريخ ، وآباؤنا الاجلاء يحملون تلك الروح القوية ، فهزأوا بالمصائب والآلام والموت في سبيل مبادئهم ، وخرجوا من هذه المعامع يحملون نصراً مبيناً قاما سجله تاريخ الجهاد ، كل ذلك

---

(١) ميخائيل الكبير بالتفصيل ص ٢٧٤ – ٢ – ٢٧٦ – ٢ و ٢٦٦ – ٢ وتاريخ يوحنا الافسسي ، الرؤوس ٢٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ ص ٤٤ — ٤٦ .

(٢) يوحنا الافسسي ، الراس ١٨ ص ١٦ والراس ٢٠ ص ٢٧ ، وما بعده الى ص ٤٧ .

وسيدهم سويريوس يعطرهم برسائله المشجعة ويملأ قلوبهم إيماناً وقوة (١) ، كما كانت أختهم الكبرى وابنتهم الوفية تيودورة ، تضمد جروح قلوبهم ببلسم عطفها وحبها ، وهكذا يكتب التاريخ والا فلا .

وأين تريد أيها القاريء العزيز ان تجد الجهاد مجسماً والفوز مسجلاً ؟ هذه ديورة الرهبان منتشرة في الجبال والآكام وضفاف الانهار والسهول والبراري مليئة بالوف من شباب الكنيسة الحر ، وكلهم مستعدون للدفاع عن المباديء القويمة والموت في سبيلها ، ولا غرو فقد اندفع كثيرون منهم الى هذا الميدان ، فأبلوا فيه بلاء حسناً ، فهذا مثلاً الناسك مار زعورا يؤم القسطنطينية وحوله عشرة من تلاميذه الأحرار ، فيبهر القيصر وعظماءه بالعجائب ، ويثني عنه اغبيطوس الروماني فيأكله الدود (٢) ، وكم كان في تلك الديورة السريانية من الرهبان الأفاضل والمجاهدين الأحرار مثل زعورا وتلاميذه ، ذلك أمر يقف اليراع جامداً عن التعبير عنه .

وهل تريد أيها القاريء العزيز ان تمتع نفسك بعد مرورها على هذه المآسي الصماء برياض العلم والأدب ؟ انك لا بد تتوق الى ذلك ، فهيا معي الى دير قنسرين ، وتسلق معي الى جبال انطاكية والى ربى اوديسا (الرها) أنك لتجد في هذه الربوع بلابل الأدب تشدو وعنادل العلم تسبح خالقها ، وفي المقدمة كثيرون من اساطين العلم والأدب الذين رفعوا رايات الكنيسة السريانية عالية عالية ، وسجلوا جهادها المثمر بدموع عيونهم أشباه يوحنا بن افتونيا ، ويعقوب السروجي وغيرهما كل ذلك في هذا القرن المعقد .

---

(١) راجع احدى رسائله المشجعة في تاريخ الراهب القرتميني ص ١٣٨.

(٢) ميخائيل الكبير ص ٢٨١ - ١ و ٢٨٢ - ١ - و ٢٨٥ - ٢ الى ٢٨٦ - ١

هذه ضمامات صغيرة من ذلك التاريخ العجيب الذي كتب في عهد سويريوس وتيودورة ، وكان لهما الفضل الأكبر في كتابة صفحاته الرائعة ، فهذان هما ، وهذا هو التاريخ الذي صنعاه ، وليتنا في هذه الأيام نأخذ هذه الدروس القيمة نبراساً لحياتنا ، في عصر ضعفت فيه المثل العليا ، وتضاءلت القيم الروحية .

الفهرس

صفحة	الموضوع
ج	المقدمة باللغة السريانية
د	صورة القيصرة تيودورة
١	من هي تيودورة
٢	ولادتها وطفولتها وزواجها من القيصر
٣	حياتها الادارية كقيصرة
٥	ثباتها في الايمان وتأثيرها على زوجها القيصر
٧	تدينها وخدمتها للكنيسة
٨	عطفها على رجال الكنيسة
١٠	همتها في رسامة مار يعقوب والبرادعي وتيودوراسقف بصرى
١١	اقتناع زوجها يوسطنيان بقدسية ايمان الكنيسة
١٣	همتها في نشر الانجيل وتأييد الايمان وبناء الكنائس
١٥	نظرة التاريخ السرياني اليها
١٦	اوساطها وحياتها الخاصة

صفحة	الموضوع
١٧	المؤرخ بروكوبيوس والقيصرة تيودورة
٢١	تمثيلية تيودورة
٢١	المشهد الاول ـ بيت القسيس في منبج
٣٣	المشهد الثاني : بيت القسيس ذاته في منبج ـ أمل الكنيسة
٤٦	المشهد الثالث : القيصرة البارة
٦٤	المشهد الرابع : البطريرك مار سويريوس في العاصمة
٦٤	المنظر الاول ـ مقابلة القيصر
٦٩	المنظر الثاني ـ مقابلة صديقه انثيموس
٧٣	المنظر الثالث ـ الاجتماع برعاية القيصر
٧٧	المنظر الرابع ـ البطريرك سويريوس مع القيصرة تيودورة وصديقتها

صفحة	الموضوع
٨٢	المشهد الخامس : ذهاب القيصر الى حرب البرابرة
٨٨	المشهد السادس : المؤامرة
٩٨	المشهد السابع
٩٨	المنظر الاول : وفاة مار سويريوس
١٠٤	المنظر الثاني : مار يعقوب البرادعي وانعاش الكنيسة

صفحة	الموضوع
١١٣	المشهد الثامن : رجوع القيصر
١٢٤	المشهد التاسع : حالة كنيسة فارس وجهاد مار يعقوب البرادعي
١٣٢	المشهد العاشر : النهاية
١٤٠	رجل وامرأة يصنعان التاريخ

ܬܐܘܕܘܪܐ

تيودورة

ي. اصليبا

قصة البطولة والجهاد والتضحية والايمان

تتناول احداث الكنيسة السريانية في النصف
الاول من القرن السادس

بقلم

غريغوريوس بولس بهنام

مطران الموصل وتوابعها للسريان الارثوذكس

سنة ١٩٥٦م

مطبعة الشرق اطوان لطوح وشركاه حلب